

# رحلة الحياة .. الثورة

تحية لذكرى المناضل الشهيد

## زكي مراد



# رحلة الحياة ... الثورة

تحية لذكرى المناضل الشهيد

# زكي مراد



رحلة الحياة .. الثورة

ما أصعب أن تحاول الكتابة عن " زكـــى مـــراد " ، فى صفحات محدودة .

- هل ستكتب عنه كأحـــد قـــادة النضـــال الوطـــنى ، منذ الأربعينيات وحتى يوم استشهـــاده ؟

- أم كمناضـــل اشتراكى بارز ، وأحد رواد حركة الكفاح الاجتماعى منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية ؟

- أم كمفكر يتمتع بالقـــدرة على الاستيعاب الجيد للفكر العلمـــى ، مبدعـــا - على هدى منهجـــه - فكرا سياسيا ثوريا مصريا ؟

- أم كشاعـــر يمتلك أروع - وأدق - الأدوات الفنية ، قـــادرا على أن يصيغ بها الكلمـــة / الموقـــف ؟

- أم كمناضل صلـــب لم تستطـــع السجون والمعتقلات - بكـــل ماتحتويه من صنوف القهر - أن تطفئ ابتسامته وثقته فى النصـــر ؟



- أم كمهاجم من أجل الحريات ـ ولا أقول مدافعا عنها ـ حتى لأعدائه الفكريين وخصومه السياسيين ؟
- أم كانسان يتمتع ـ رغم صلابته الشديدة أمام أعداء وطنه وشعبه وطبقته العاملة ـ بانسانية شديدة التدفق .. شديدة الرقة .. تجاه رفاقه وأصدقائه وكل من يحيط به ؟

.. تستطيع ان تكتب عن زكى مراد فى كل هذه المجالات ولكن الكتابة فى أى منها يستلزم عشرات ومئات الصفحات . لسبب بسيط .. هو أن زكى مراد فى كل مواقفه . كان جزءا ـ لا يتجزأ ـ من حركة شعبه . متوافقا مع نبضه الدافق فى كافة القضايا الوطنية والاجتماعية والديمقراطية .

.. ومن هنا كانت القيمة الكبرى لزكى مراد .. كابن بار للشعب المصرى .. نابعا من صلبه . مؤرقا بهمومه .

مناضلا معه ضد كل أعدائه ، ممثلهما كافة قيمه الثورية والنضالية

ومن أبرز القيم النضالية لشعبنا ، التى ترسخت فى وجدان

زكى مراد .. استمرارية النضال ، البصيرة الثورية ،

والتضحية بلا حدود .

## النضال المستمر

لم تتوقف الحركة النضالية للشعب المصرى منذ مطلع التاريخ وحتى الآن .

بل ان مايمكن ان يطلق عليه أول ثورة اجتماعية فى العالم كله ، قد قامت بمصر منذ أكثر من ستة آلاف عام .

.. واستمرت حركة نضال الشعب المصرى ..

- ضد الغزاة والمستعمرين ، ومن أجل التحرر الوطنى
- ضد الاستغلال الطبقى ، ومن أجل العدالة الاجتماعية
- ضد الكبت والارهاب ، ومن أجل الديمقراطية السياسية .

.. لم تتوقف لحظة .. قد تنتكس ، قد تتغير تهاداتها ، قد تتبدل وسائلها وصيغها .. ولكنها - أبدا - مستمرة .

.. وهكذا كان زكى مراد .. منذ صباه وحتى استشهاده نضال مستمر .

- ضد الاستعمار وأحلافه وعملائه ومخططاته ومعاهداته ..

مؤكدا على قيمتين أساسيتين كضمان لانتصار قوى الشعب فى المعركة الوطنية :

١ - أهمية وضرورة تحالف كل القوى الوطنية المعادية للاستعمار .

٢ ـ أهمية وضرورة التضامن الأممي ومساندة حركة الشعوب ومعسكرها لنضال الشعب المصري •

ـ من أجل الاشتراكية والعدل الاجتماعي :

مبرزا موضوعتين شديدتي الأهمية في هذا المجال :

١ ـ أن الماركسية ليست كهنوتا وطلاسما بقدر ماهي منهج علمي للفكر والنضال •

٢ ـ أن التراث الاشتراكي العلمي • تتحدد قيمته لدى التطبيق النضالي ـ ان لم ـ يوضع من خلال القسمات الخاصة للواقع المصري •

ـ من أجل الديمقراطية والحريات السياسية :

مدركا لضرورة التزاوج ـ في مسيرة العملية الثورية ـ بين النضال الوطني والاجتماعي وبين النضال الديمقراطي القادر على تفجير الطاقات المبدعة للملايين من القوى الشعبية •

المسيرة الثورية :

من القسمات الواضحة في الحركة النضالية للشعب المصري •• قدرة الجماهير الشعبية على ادراك الحلقة الرئيسية في كل مرحلة من مراحل نضالها • وقدرتها بالتالي على التمييز بين حركة التناقض الأساسي بينها وبين أعدائها ـ وبين التناقضات غير الأساسية في صفوف حركة الثورة •

ومسيرة حركة الثورة الوطنية الديمقراطية في مصر حافلة بما يؤكد الادراك التلقائي المرهف للشعب المصري في هذا الموضوع • ولعل

أبرز مثل لها هو موقف الجماهير يومي ٩ و ١٠ يونيو عام ١٩٦٧.
فرغم الظلام المخيم ليس على عاصمة مصر ومدنها فقط ، بل على قلوب ووجدان أبنائها الذين منوا بالهزيمة العسكرية .. الا أنهم ـ ببصيرة ثورية مرهفة ـ تجاوزوا هذا الظلام ، بل سحقوه .. عندما أدركوا أن الهزيمة ، مؤقتة .. وأن النصر ليس ببعيد اذا ماتمسكوا بعبد الناصر وازداد ارتباطهم به كقيادة سياسية وطنية.

.. وبهذه البصيرة الثورية الواعية ـ وبالرغم من هزيمة مصر العسكرية ـ الا أنها لم تنهزم سياسيا ولم يحقق الاستعمار غرضه الأساسي ، كما اعترفت قياداته فيما بعد .

.. كان زكي مراد ـ مستلهما تراث شعبه ـ يتمتع بهذه البصيرة السياسية ، قادرا في كل مرحلة أن يحدد الحلقة الرئيسية في النضال مشددا عليها .

.. ولعل الموقف من " ٢٣ يوليو " خير معبر عن هذا
فقد كان لكتيبة زكي مراد السياسية ـ دونا عن الكثيرين ـ القدرة على استشفاف لطبيعتها .. كإحدى حلقات الثورة الوطنية الديمقراطية ، والقدرة بالتالي على الفهم الأدق لكافة مراحل تطورها وانجازاتها .

## التضحية بلا حدود

تاريخ شعبنا ، وملايين نظرائنا من العمال والفلاحين ، سجل حافل بتضحيات لاحدود لها .. كما وكيفا .. والشعب المصري لا يستعذب التضحية ، من أجل التضحية .. ولكنه يقدمها بإيمان

واثق من أن هـذه التضحيات لن تضيع بلا ثمن .. وأنه يصنع بهـا انتصارات المستقبل .

وزكـي لم يبخـل بالتضحيـة .. وبكل مايمـلك حتى بحياتـه .

.. وأخيرا ، فلابد من أن نؤكد على موضوعتين هامتين ، في هـذا المجـال :

أولا : ـ أن زكـي مـراد لم يكن أبدا وماكان له أن يكون ـ رغم قدراته الخاصـة ـ " الفـرد الخارق " .. بل كـان جزءا لا يتجـزأ من كتيبة نضالية ، ساهم في تأسيسهـا وساهمت في تأسيسه .. أعطاها قدراته وأعطته قدراتهـا . ملأها بالتفاؤل وملأتـه بالثقـة .

ثانيا : ـ ان القيمة الاساسية لزكـي مـراد هي " النضـال وأن التمجيد لذكـراه ـ وذكرى كل شهداء شعبنـا وطبقتنا العاملة ـ هو .. استمـرار هـذا النضال ودعمـه ، والوصـول ـ من خلاله ـ بشعبنا الـى الغد المأمول .. حيث الحرية ، والعدالة ، وانسانيـة الإنسان "

●●●●




نبيل الهلالي

اربعون يوما مضت وانقضت .. وانت غائب عنا .. وكأنها اربعين عاما أحسسنا خلالها .. بقسوة الوحشة .. ووطأة الحسرة .. وهول الخسارة . لقد كانت يد السجان من قبل .. تختطفك منا .. وتغيبك عنا .. شهورا بل وسنين .

لكن فى كل مرة .. كنا على ثقة .. بأنك ستعود الى موقعك من جديد .. طال الفراق ام قصر ..

وحتى وانت اسير ظلمة السجن او المعتقل .. كنت تشع لنا نورا .. وتنتج فكرا .. وتقرض شعرا .. يخترق الجدران .. ويقتحم الاسوار . وينطلق عبر الاصفاد والاغلال .

لكنك فى هذه المرة .. ذهبت .. ولن تعود .. فقد اختطفتك منا يد المنون .. لذلك فالوحشة اليك هائلة .. والحسرة عليك فادحة .. والخسارة فيك جسيمة ..

لكن ما يسرى عنا بعض الحزن .. ويخفف عنا بعض الالم .. انك ايها المناضل الفقيد .. وان كنت قد مت فأنك لم تمت.

لقد شيعنا حقا جثمانك الى مثواه الاخير .. ولكن المناضلين الابطال ليسوا مجرد اجساد .

الجثمان يرحل .. والجسد يتحلل .. ولكن مآثر المناضلين لاترحل .. ولا تتحلل ..

× لقد كنت فكرا .. وفكرك لن يموت.

× وكنت نضالا .. ونضالك لن يتوقف .

× وكنت موقفا .. ومواقفك مخلدة على صفحات التاريخ .

× وكنت علما .. واعلام النضال لاتسقط ولا تنكس ابدا .

وانما تتناقلها سواعد المكافحين.

وتتوارثها اجيال المناضلين ..
جيلا بعد جيل ..
انت حى لانك جزء عزيز لا ينفصم من شعبنا والشعوب باقية لا تموت ..
انت باق لان سيرتك جزء لا يتجزأ من تاريخ مصر .. وتاريخ الشعوب لا يندثر ..
لقد كنت جزء من آلام هذا الشعب .. فقد عرفتك سجون الاحرار مكبلا متحملا متألما ..
وكنت جزء من نضال هذا الشعب .. فقد خبرتك ساحات النضال مقاتلا .. وقائدا ومعلما .
لقد ذهبت عنا .. ولكنك باق معنا ..
وستظل ابدا .. هنا .. وفينا .. وبنا ..
فحياة المناضلين كحلقات السلسلة الواحدة .. متتابعة .. متلاحقة .. متلاحمة .
نعم ايها الشهيد المناضل .. ستبقى حيا .. فى قلوب البسطاء والكادحين والمستغلين .
اولئك الذين عشت من اجلهم .. وناضلت فى سبيلهم .. وضحيت من اجل ان توفر لهم الغد المشرق .. واستشهدت لانك ابيت ان تتخلى عن قضاياهم .
ان كلماتك واشعارك المقاتلة .. ورنين ضحكاتك المتحدية المتفائلة .. لن تخفت ابدا .. ولن تموت .. بل ستتحدى الموت وستقهره لتظل تطرق اسماعنا وتشحذ عزائمنا ما حيينا .

* * *

حقا كان استشهادك خسارة .. وأية خسارة ..
بل هو الخسارة كل الخسارة ..
لكن النضال كسب وخسارة .. وتلك هى سنة النضال ..
ولقد اخترت انت بنفسك لنفسك .. حياة المناضلين ..
فقد كنت تؤمن انه بغير نضال .. فلا تحرير ولا استقلال ..

ولا خلاص من الاستغلال .. ولا انطلاق من القيود والاغلال .

ولقد آمنت منذ ان كنت طالبا .. فى ظل الملكية والاقطاع بأن الاوضاع لا تتغير من تلقاء نفسها .. وبأن الاقدار لا تلد من عندياتها .. المستقبل الافضل .. والمجتمع الامثل .

ولما ان ميزت بين الخنادق .. حتى اخترت خندق النضال واندفعت اليه رائدا .. وقائدا حتى آخر رحلة العمر ..

لم تترك قضية من قضايا هذا الشعب .. الا ودافعت عنها وانتصرت لها .

ناضلت من اجل تحرر الوطن .. فعرفتك ساحات النضال السياسى وميادين الكفاح المسلح مقاتلا جسورا ضد المحتل الغاصب ومحاربا شجاعا ضد التبعية السياسية والاقتصادية ..

ومعارضا عنيدا للاحلاف العسكرية الاستعمارية ومعاهدات العار والذى والعبودية .

وناضلت من اجل حرية المواطن .. فعرفتك ساحات المحاكم مدافعا عن الحريات السياسية والنقابية تارة من تحت عباءة المحاماة السوداء .. وتارة اخرى من تحت سترة السجن الزرقاء .

حقا ان حياتك .. منذ بداياتها جهادك حتى لحظات استشهادك كتاب ضخم حافل بالتضحيات والنضال والاستبسال .

كتاب لم يأن الاوان لطبعه ونشره كاملا بعد .

ايه زكى مراد ..

* علمتنا معنى انكار الذات .. ولم نكتف يوما بما قدمت من تضحيات .. ولم تقنع بأربعة عشر عاما قضيتها فى المنفى فى جوف الصحراء .. اقتطعتها من احلى سنين شبابك .. لتؤثر السلامة . او لتستأثر بمزايا التقاعد .. فلقد كنت طرازا من المناضلين .. لا يعرف التقاعد .. وهو على قيد الحياة ولا يعرف طعم الراحة الا فى الراحة الابدية ..

وحتى يوم مماتك .. فارقت الحياة .. وانت سائر على الطريق .. تتنقل من ساحة نضال الى ساحة نضال ..

* وعلمتنا كيف تكون التضحية .. فقد كنت تؤمن بأن قدر المناضل الثورى هو ان يضحى بأعز ما يملك .. بكل ما يملك .. بالحرية وبالحياة .. لذلك وهبت شعبك ووطنك كل شئ ..

كنت تؤمن ان النضال لا يؤتى ثماره الا اذا ارتوت ساحة النضال بدم الشهداء .. وان صفة المناضل ليست لقبا فخريا .. ولكن النضال سلوك .. لذلك كنت تسير فى طريق الكفاح وصدرك مفتوح لا يخشى رصاصات الغدر .. وظهرك مرفوع لا يرهب سياط القمع .. ورأسك على كفك مستعدا فى اى لحظة لتقدمها للجلاد واداء ضريبة الاستشهاد .

* علمتنا الالتزام بفكر الطبقة العاملة .. وبمصالح الشعب الكادح وقضايا الوطن الحبيب التزاما لا حيدة عنه ولا انحراف .

* علمتنا الا نرهب او نخشى او نخاف

فلم يسكت لك القهر يوما لسان ..

ولم يقصف لك الطغيان يوما قلم ..

ولم يكن لك السجن يوما قناة ..

* علمتنا ان الوطنية والحرية والاشتراكية والوحدة الوطنية والقومية ليست ابدا شعارات تلاك بطرف اللسان .. او عبارات يتشدق بها بغير ايمان ..

بل كل كلمة من هذه الكلمات تعنى فى قاموسك نضالا لا يهمد وتضحية لا تنتهى .

* علمتنا الثقة والتفاؤل .. فلم يعرف اليأس يوما طريقا الى قلبك وكنت فى تفكيرك وفى تعبيرك .. تجسد الامل والثقة فى المستقبل .. واليقين بحتمية بزوغ فجر الغد الافضل .

نعم ايها الشهيد .. لقد اخترت الطريق الصعب .

ورفضت ان تتاجر يوما بأمانى الشعب .

وأبيت ان تساوم على مصالح الجماهير فى سوق السياسة ..

او ان تبيع مصلحة وطنية او قومية لتبتاع مصلحة ذاتية ..

لم تحاول يوما وانت المحامى والشاعر والخطيب الذى صنعته

الـــكلام ان تتجر بالكلام .. او ان تضلل بالكلام .. او ان تسخــــر كلماتك لدق الدفوف او حرق البخور او العزف فى مواكب النفاق .

ايه زكى مراد ..

لقد رحلت عنا .. والطريق لازال امامنا طويل .. وطويل ..
ناضلت طوال حياتك فى سبيل تحرير الوطن .. ورحلت عنــــــا والاحتلال لازال على ارضنا العربية قابع ..
ناضلت طوال عمرك فى سبيل تحرير الانسان من استغلال الانسان . ورحلت عنا والاستغلال لازال واقع ..
ناضلت حتى الرمق الاخير فى سبيل وحدة كل الوطنيين والشرفاء . ورحلت عنا والوطن لم يكن فى حاجة الى هذه الوحدة مثلما هو اليـــوم .
لكن لاتقلق .. وارقد هادئا مطمئنا فى تربة مصر .
فى احضان تراب الوطن الذى رويته بقطرات عرق الكفاح طوال حياتك ورويته للمرة الاخيرة بقطرات دم الاستشهاد يوم ماتك .
نعم ارقد هادئا مطمئنا ..

فقد تتوقف دقات قلب مناضل
وقد تتوقف نبضات عرق مناضل
ولكن قافلة النضال .. لن تتوقف ابدا ..

من يتخيل ان غيابك الابدى سوف يوقف مسيرتك واهـــم
من متصور ان فراقك الابدى سوف يوهن كتيبتك واهـــم
فدماؤك الذكية التى رويت بها تراب مصر ..
سوف تزيد هذه التربة الخصيبة خصوبة ..
وسوف تنبت الارض ..
وسوف يورق النبت ..
وسوف يثمر .. ويثمر .. ويثمـــر .

ونحن نعاهدك ايها الصديق والرفيق ..
ان نظل لرسالتك اوفياء .. ولنضالك مواصلين .. ولمبادئـــك مخلصين ولرسالتك متممين .

نستمد من ذكراك ايها الصديق والرفيق ..
الهاما وصبرا وعزما وقوة على المضي قدما في ذات الطريق ..
نعاهدك ان نكفكف دموعنا في مآقينا .. وان نحيل الدموع
الى حبات عرق على الجباه والسواعد ..

* * *

لقد قال شاعر ثوري مثلك يوما .. ( ان اروع ما اريد قوله هو
ذاك الذي لم اقله بعد ) .
ولقد رحلت عنا فجأة قبل ان تقول اروع كلماتك ..
لكننا نعرف تلك الكلمات .. ونحفظها عن ظهر قلب ..
وذات يوم قريب .. سنقف عند هواك الاخير ..
لنردد عنك .. ولنردد لك .. اروع كلماتك التي لم تقلها بعد ..

وداعا يافقيدنا المناضل ..
وداعا ياشهيدنا المقاتل ..
لك الخلود ولشعب مصر العزاء يافقيد مصر ..
لك الخلود وللامة العربية العزاء يافقيد العروبة ..
لك الخلود وللانسانية العزاء ..
يافقيد الانسانية جمعاء ..

# طبت حيا وميتا يارفيق

محمود علي عامر

طبت حيا وميتا يا رفيق زكى .. طبت حيا وميتا يا رفيق السلاح والكفاح . يا معلم الثوار قوانين الثورة وفن النضال .. علمتهم كيف ومتى يثورون ؟ متى يتحركون ومتى يتقدمون ؟ متى يهدأون ومتى ينسحبون ؟ لا زال صوتك القوى يرن فى آذاننا .. ولا زالت مواقفك الجسورة تتمثل امام عيوننا ..

لاننسى أبدا قولك : أن السياسة هى فن الممكن ـ لاتحددها العواطف .. ولا تتحكم فيها الارادات الذاتية ولا الرغبات الشخصية فقط ـ بل تحددها وتتحكم فيها اولا وقبل كل شىء عوامل موضوعية .. لابد ان تتضح من خلال العملية الثورية ..

معذرة يا زكى اذا كنت لا أستطيع ان اذكر معظم مواقفك المليئة بالبطولة والجسارة والرجولة .. لكن التاريخ وحده هو القادر على تسجيل مآثر عظماء الرجال . والتاريخ وحده هو القادر على انصافهم واعطائهم حقهم من التكريم والتبجيل حتى يتذكر الناس اعمالهم فى دفع عجلة التاريخ جيلا بعد جيل ورعيلا بعد رعيل .

كما ان التاريخ لا يرحم الطغاة فى حياتهم متى زالت عنهم السلطة والسلطان .. والهيل والهيلمان .. وحتى بعد مماتهم سوف تلاحقهم لعنات الشعوب فى كلتا الحالتين .. لن يفلتوا من الحساب .. ولا نجاة لهم من العقاب .. ان تاريخك الحى يحتاج الى مؤلفات .. وكتب وكتيبات ودواوين شعر ومؤلفات .. وهذا ما سوف يتولاه الكتاب والادباء والمؤرخون والشعراء ..

سيتحدث التاريخ عن موقفك البطولى وانت فى السجن الحربى .. تواجه الزبانية وانت تحت سياط التعذيب وافحمتهم بقصيدتك الشهيرة بينى وبينكم الدم فتحكموا ما شئتموا .. لاترحموا .. انى غدا ستحكم ..

سيذكر التاريخ دورك الاساسى فى تكوين حركة انصار السلام المصرية .. فى اول الخمسينات .. كم جمعت على نداء استوكهلم من آلاف التوقيعات التى يعلن موقعوها ادانتهم لكل من يتسبب من الدولتين العظميين فى اشعال نار حرب عالمية ثالثة خاصة من يستعمل القنابل الذرية او اى نوع من انواع الاسلحة النووية .. كم كونت من لجان للسلام وزودتها بوعى سياسى ضد ويلات الحروب .. وابادة البشر بالجملة والقضاء على المدنية .. كم بينت للناس بوضوح انه لاسلام بين الشعوب وبين الامبريالية العالمية .. ووضحت الفارق بين فلسفة السلام وفلسفة " الاستسلام " لقد ايدت الحروب التحريرية من اجل الدفاع عن الارض والعرض .

سيذكر التاريخ دورك القيادى فى تأسيس اللجنة الوطنية العليا للعمال والطلبة التى نظمت وقادت المظاهرة الوطنية الكبرى فى ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ م والتى كانت سببا مباشرا فى انسحاب قوات الاحتلال البريطانى من المدن المصرية .. وتركزها فى منطقة القنال .. بعد ان كان جنود الانجليز يعيثون فى الشوارع سكارى - ينهبون التجار .. ويخطفون النساء .. ويعربدون .. كانوا يمعنون فى الغى ويفترون ولا يبالون على من يعتدون .. لن ينسى لك التاريخ دورك البارز فى تكوين اللجنة الوطنية التى دعت الشعب المصرى للكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطانى غداة الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقبل قيام حركة الجيش .. لقد كنت الخطيب المفوه فى المؤتمرات الشعبية .. نظمت اوسع حملة آنذاك لجمع الادوية وارسال المتطوعين وتعبئة الامكانيات ودفعها الى المنطقة الملتهبة ..

ايها السادة والسيدات ..

فى هذه المرة لم يترجل الفارس من على ظهر الفرس ليستريح من عناء مسيرة شاقة وطويلة قضاها فى مجالات الصراع السياسى والاقتصادى والثقافى ضد الاستعمار الاجنبى وعملائه - ضد اليمين المتخاذل واليسار المغامر .. لكنه ظل فى مكانه .. ثابتا فى موقعه ممسكا بسلاحه .. لانه مقاتل بطبيعته .. نعم على ارض المعركة واصطلى بلهيبها ومات على ارض المعركة .. ولاشك حقا انه من كلمات الخدائد

ومن جامعات الاهوال يتخرج الابطال ..

لقد كان الفارس رقيقا كالنسيم مع رفاقه فى الجبهة .. ان اخطأوا يوجه لكبارهم النقد الاخوى ولشبابهم النقد الابوى بأسلوب تربوى . وفى نفس الوقت كان حادا صارما كالسيف مع اعداء الشعب .. وعملاء الامبريالية والرجعية السوداء .. كان الفارس شجاعا فى ساعات الخطر يتميز بالثبات والصلابة وقوة الاحتمال .. وطول النفس .. وبعد النظر وكان القائد السياسى الحقيقى فى نظره هو من لا يأكل الا اذا أكل الجميع وشبعوا ولا ينام ويستريح الا اذا نام الجميع واستراحوا .. وحينما يدق ناقوس الخطر يكون اول من يواجه الموت ..

ولكن هل حقا مات زكى مراد ؟ ..

كلا .. انه لم ولا ولن يموت زكى .. لان العظماء لا يموتون والموت نفسه يعجز عن ان يطوى صحيفة مناضل فى سبيل تحرير شعبه من قيود القهر والاستعباد .

لن يموت من اعطى ظهره للسلطة .. وربط مصيره بمصير الطبقة العاملة الصاعدة .. والجماهير الكادحة .. ان الموتى هم الذين تجرفهم امواج الشعوب ويغرقون وهم يسبحون ضد تيار التاريخ .

ايها الشهيد العزيز ..

لقد اثمر كفاحك المجيد من اجل تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية وهاهى عوامل النجاح بدأت تشق طريقها وسط ظروف صعبة .. لكنها تتطور بثبات الى الامام .. نم فى قبرك مطمئنا على مصير الشعب وقضيته الكبرى .. نحن نجدد لك القسم على اننا سنظل على ارض المعركة لن نلقى السلاح من ايدينا .. ولن نبرح اماكننا حتى نرويها بدمائنا .. كما رويتها انت بدمائك الطاهرة وبعد النصر الذى لا نشك لحظة واحدة فى تحقيقه . سوف تمضى جماهير الشعب الى قبرك .. حاملة اعلام النصر ومعها باقات الزهور لتنثرها عليه .. وسوف تسمع اصواتنا .. اننا هنا وسنبقى هنا والمجد لنا . مادمنا لم نهرب .. ولم نرفع ايدينا دلالة على التسليم ..

◆◆◆◆



● امام الموت .. تتحول الحياة فجأة من نبض وحركة وحيوية .. الى شريط من ذكريات . وكلمات صغيرة نقرأها في صحف الصباح ... رحل زكي مراد بعيدا عنا ، بعد أن قهره حادث صدام عابر ، وهو الذي لم تقهره احداث الحياة والسجون والمعتقلات .

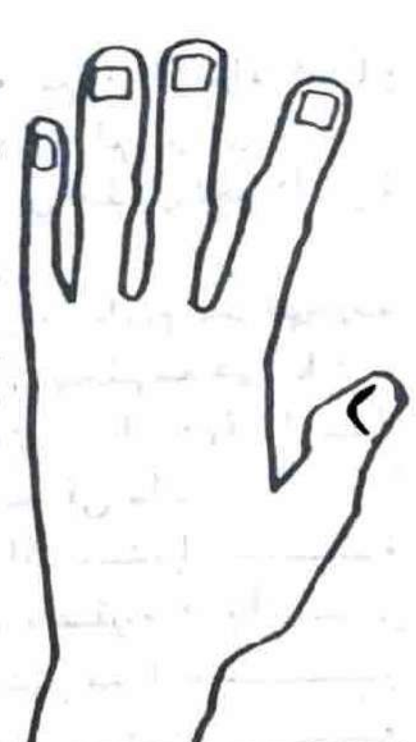
# وداعا ياصديق

أحمد حمروش

زكي مراد الشاب النوبي الوديع الذي عرفته في منتصف الاربعينات يتحدث بالامل ، ويحلم بالفجر ، وينبض كلماته بالحرارة ، ويخرج منها بانتصار حركة الجيش ليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . يقبض عليه فجأة .. يدخل السجن ويبقى به سنوات ، ولا يفرج عنه بعد انتهاء هذه العقوبة ، وانما ينضم للمعتقلين حتى يخرج من الجميع عام ١٩٦٤ .

ويكون لنا لقاء جديد .. وايام السجن لم تفقد الرجل حرارة الحديث . وسنوات الشباب الضائعة خلف القضبان لم ترسم على الوجه تضاريس اليأس او الالم .. احتفظ زكي مراد بروحه المرحة ، واحلامه الكبيرة ، ونظرته المتفائلة .

لم يتردد ظهوره للنضال والعمل السياسي .. وانما عاد اليه من جديد ، وكانت الظروف قد تغيرت بعد انتصارات ثورة يوليو الكبيرة في ميدان العمل الوطني والاجتماعي .. وفي فترة التحمت فيها كافة القوى الوطنية ، اختار أن يكون موقعه في تحالف قوى الشعب العاملة ، محتفظا برؤيته وافكاره وعقيدته وكانت لنا ذكريات



ولم يطو زكي مراد صفحة الوطنية في هذه المناسبات .. فانطلق الى المحاماة .. لا يجد فيها مهنة .. وانما وسيلة للدفاع عن المضطهدين والضعفاء والابرياء .. فكسب منها الاصدقاء والزملاء .. اكثر مما كسب الاموال .

وتدور عجلة الحياة ، وتنتهي حياة هذا الشاب النوبي المصري الذي رأيته يجلس في اول مجلس مصري للسلام قبل الثورة مع حفني (باشا) محمود .. وكامل (باشا) البنداري ، وابراهيم ( بك ) رشاد ، والدكتور محمد غالي ، والدكتور عزيز فهمي والدكتور محمد مندور ويوسف حلمي وسعد كامل وكمال عبد الحليم .. ثم رأيته اليوم داخل نعشه نائما ، واكاد اراه مبتسما راضيا وهو يشهد هؤلاء الذين اقبلوا لوداعه من كل الاتجاهات ، وحول نعشه تختلط صيحات البكاء مع الدعاء .

وهكذا انتهت حياة زكي مراد نبضا وحركة . ولكنها لم تنته بصحبه واثرا

وداعا يا صديق .

# رحيل نجم من إبريم!

صلاح حافظ

ودع زكى مراد عالمنا هذا الاسبوع وهو فى قمة السعادة ! كان يناضل منذ سنوات لاثبات براءة المتهمين فى قضية يتولاها فى الاسكندرية . وجاء حكم المحكمة براءة للجميع كما طلب . فطار فرحا . واسرع يقود سيارته عائدا الى القاهرة : لكى يحتفل فى بيته بالنصر الكبير .

وفى الطريق نزل المطر . وانقلبت السيارة . ومات المناضل النوبى الاسمر زكى مراد ــ وهو فى قمة سعادته ــ على خطوط حقل فى ابتاى البارود يجاور الطريق ...

لم تنشر هذه القصة فى اية صحيفة مصرية . مع ان زكى مراد كان نجما بكل معنى الكلمة . وعذر الصحافة مقبول . لانه لم يكن من نجوم المسرح او السينما او المال والاعمال .. وانما كان فقط من نجوم الثورة المصرية !

ولنفس هذا السبب . فان دور هذا الرجل فى تاريخ مصر لايعرفه كثيرون .. مع انه لايكاد يوجد ثائر مصرى عرفه ولم يتعلم منه شيئا ما .

انا شخصيا عرفته ربع قرن : وسجنت معه ثمانى سنوات . ولا اكاد اجد فى حياتى معنى نبيلا لم يساعدنى على فهمه زكى مراد .

كنا خصوما لعبد الناصر عام ١٩٥٤ . وكنت اكتب منشورات سرية ضد الثورة التى اعتبرتها فى ذلك الوقت دكتاتورية عسكرية . وزارنى زكى مراد ليقرأ مشروع منشور اعددته للطباعة : يتهم عبد الناصر بالخيانة . ويصفه بكل ما يخطر بالبال من نعوت جارحة . واعجبه

اسلوب المنشور ، وحرارته . لكنه فجأة سألنى :
- هل انت واثق من صدق هذا الكلام الذى كتبته !
قلت :
- هذا شئ لا يهم . اننا خصوم لهذا الدكتاتور ويجب
ان نلوث صورته .
فضحك زكى ... ثم سأل :
- ماذا لو ضبط هذا المنشور معك وقدمت به الى المحاكمة .
هل تملك ان تدافع عما فيه ؟
قلت ببساطة :
- لا ..
فضحك مرة اخرى وقال :
- اسمع . لكى تكون ثوريا بمعنى الكلمة ، يجب ان تكون صادقا
لا تكتب فى السر كلاما لا تستطيع ان تدافع عنه فى العلن !
وغاصت كلماته الى اعماق ضميرى . وظلت معى حتى هذه اللحظة .
صحيح انهم فى المدرسة كانوا يأمروننا بالصدق ، ويطالبوننا به .. لكن
زكى مراد هو الذى "اقنعنى" عمليا بالتزامه .
وفى المدرسة ايضا كانوا يعلموننا فضيلة الاعتراف بالحق . ولكنى
لا اذكر انى جربت هذه الفضيلة عمليا الا بفضل زكى مراد .
سجننا جمال عبد الناصر . ونفانا الى الواحات . ثم خاض اعتى
المعارك ضد الاستعمار . واسس منظمة عدم الانحياز . وأمم قناة
السويس وتحدى العدوان الثلاثى الغاشم عام ١٩٥٦ . واذا بزكى
مراد يتزعم حملة تدعونا - ونحن وراء القضبان - الى تغيير موقفنا !
لماذا ؟
لاننا لم ندخل السجن دفاعا عن انفسنا وانما دفاعا عن مصر .
وعبد الناصر الان يخدم مصر ومن حقه علينا ان نقف معه ، ولو كان
يسجننا .
ولم يكن قد سبق فى حياتى ان واجهت حالة تفرض على تأييد
انسان يعتدى على حريتى . وما كان يخطر ببالى ان مبدأ " الاعتراف

بالحق " يمكن ان تكون هذه ترجمته .

لكن زكى مراد أقنعنى ، وجعلنى لاول مرة فى حياتى أمارس عليها هذا المبدأ .

ليس هذا فقط . بل انه نجح فى ان يجعلنى اكتب تهنئة لعبد الناصر بالعهد .

واكتشفت بعد ان كتبتها ان زكى مراد لم يعلمنى فضيلة الاعتراف بالحق فقط ، وانما دربنى ايضا على غسل مشاعرى والتخلص من احقادى والغفران لمن اساءوا ، بل والشعور نحوهم بالحب ايضا – من اجل بلادى .

وكانت هذه قيمة اخرى تعلمتها من المدرسة ، وقرأتها فى عشرات الروايات . ولكنى لم أمارسها الا بفضل زكى مراد .

ولم يكن زكى يفتعل هذه المواقف او يتوصل الى اتخاذها بعد حسابات معقدة . وانما كانت بعض فطرته الثورية . وابلغ دليل على هذا هو اول موقف سياسى تبناه فى حياته ، موقفه من غرق اراضى النوبة بسبب تعلية خزان اسوان .

كان النوبيون جميعا يعتبرون اغراق بلادهم لصالح تخزين المياه اللازمة لاراضى مصر جريمة لا يغسلها الا الدم . وكان قادة النوبة يقودون حملات ساخنة ضد هذه الجريمة . وكان والد زكى مراد عمدة " ابريم " التى لم يكن هناك ما هو اشهر منها فى النوبة القديمة وكان الغرق مصيرها . هى ونخيلها الذى يثمر " البلح الابريمى " الشهير . واذا بزكى مراد . برغم هذه الكارثة يتحدى اهله . ويعلن ان مصلحة مصر أهم من مصلحة " ابريم " . ويطرح لاول مرة فى تاريخ النوبة فكرة ان الوطن ليس " ابريم " أو " جنتا " او اى قرية من قرى النوبة التى اغرقها الخزان وانما الوطن هو " مصر " والقضايا التى يجب الالتفات اليها هى قضايا مصر ، قضايا رخائها وتحريرها وتطويرها واجلاء المستعمر عنها .

وبهذا المنطق خاض زكى مراد جميع قضايا مصر التى عاصرها وهو تلميذ فى المدرسة وهو طالب فى كلية الحقوق وهو محام يدافع عن

المتهمين احيانا .. ويقف فى القفص متهما فى أحيان أخرى .

وطوال هذا الوقت كان يشع فيما حوله ، وفيمن حوله ، اغلى المبادىء النقية لبنى الانسان : الصدق والحب والاعتدال . والاعتراف بالحق . وكان حربا على كافة صور التعصب التى تصيب اصحابها بالعمى وتحولهم الى مجموعة آلات جامدة ، مريضة بالانتقام .

وكان زكى مراد لهذا اول من يقع عليه الاختيار لتهدئة خلافات الثوار واقامة جسر من الحوار بينهم وبين الدولة احيانا ، وبينهم وبين انفسهم فى احيان اخرى .

وما اكثر ما نجح زكى مراد فى هذه المهمة . وما اكثر ما فشل . ولكنه فى الحالين كان يترك جميع الاطراف وقد تعلموا منه ومارسوا بفضله تجارب عملية فى الاعتدال والمرونة والصدق مع النفس والصدق مع الاخرين . وتغليب مصلحة مصر على اى اعتبار آخر .

ولن يتصور القارىء عدد المشاهير الذين استمدوا من زكى مراد مزيدا من الفهم لما يدافعون عنه .. ورأوا مثلهم العليا مترجمة الى حقائق عملية يجسدها سلوكه .

ومعظم هؤلاء اليوم نجوم . ولكن زكى مراد — الذى شارك فى صنعهم — لم يفز بمثل الاضواء التى سلطت عليهم .. وقنع بأن يكون نجما عندهم وحدهم !

وهذا هو السبب فى ان الذى جزع عليه . واحس بكارثة فقده ، لم يكن الرأى العام — وانما بعض القادة الذين يشاركون فى صنع الرأى العام .

وبسبب ما ، فضلوا الا يزعجوا معهم غيرهم من بسطاء الناس !

* * * *

وسيجيىء وقت — بلا جدال — يتذكر فيه هؤلاء دينهم نحو زكى مراد ، ويخصصون له الصفحة التى يستحقها فى تاريخ مصر .

ولكن متى ؟

لو سئل زكى مراد نفسه لضحك وقال : قريبا .



ذلك انه كان اكثر الناس تفاؤلا فى العالم . وكان عبقريا فى اكتشاف الجانب المضىء فى كل كارثة . وكنا فى السجن نداعبه بتأليف نكات نصور فيها مبالغته فى التفاؤل . ولكننا فى نفس الوقت كنا نلجأ اليه كلما اصابنا اليأس او الاكتئاب .. وكان يكفى ان نطرح عليه اسباب يأسنا او اكتئابنا لكى يدحضها فى لحظة ، ويجعلنا فى اللحظة التالية نرى الحياة كلها وردية ضاحكة .

فى عالم الصحافة اختار قضايا العمال . وفى السياسة اختار اليسار وفى السكن اختار حوارى المنيرة .

واذكر انى قلت له ـ ذات يوم ـ فى السجن : أقسم انك الوحيد الذى سيتفاءل بملك الموت ، ويستقبله وهو سعيد .

ولم اكن اعلم وقتها ان السماء ستبر بقسمى . وان زكى مراد سيختار لحظة يكون فيها فى قمة سعادته ، لكى يفجعنا برحيله !

# صوتك الدافئ

مصطفى طيبة

كانت لحظة من سنوات طويلة عشناها معا يا زكى فى السجـــون ..
كان الوقت صباح يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦ .. سمعنا خبر صـــدور الاوامر بالانسحاب من سيناء .. لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية .. وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينا صوت جمـال عبد الناصر : سنقاتل .. سنقاتل .

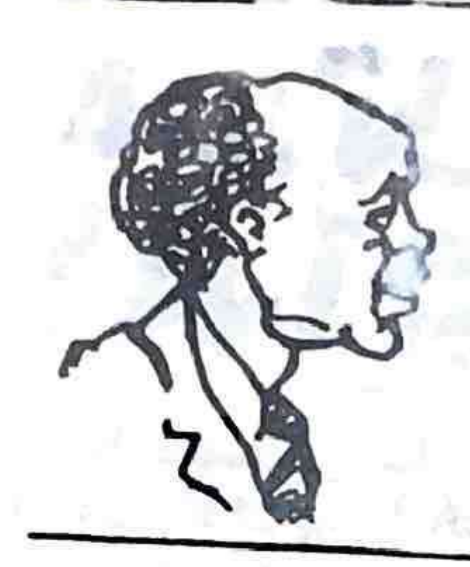
وتصل اخبار حمل الشعب للسلاح فى مدن القناة وفى مـــدن القاهرة ليقاوم الغزاة . دماؤنا تغلى .. واعصابنا لم تعد تحتمل .. هذه ارضنا ونحن من اخلص ابنائها .. ايدينا التى يكبلها الحكـــام يجب ان تحمل السلاح مع الشعب فى وجه المعتدين الغزاة ..

واصحب زكى مراد ونذهب الى مامور سجن الواحات الخارجـــة . دون اى مقدمات يقول زكى مراد :

— نرجو ان تبلغ القاهرة ما يأتى : اذا لم يصدر قرار الافراج عنا ظرف ٤٨ ساعة من الان فعليهم ان يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا ..
لحظة صمت تمر كأنها دهر .. نلاحظ خلالها وجه المأمور يجمد ماهى داخله .. هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه .. خروجهم من باب السجن ليس له سوى معنى واحد : هو محاولة الهرب . والقانــون صارم . اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهرب . هؤلاء أول مسجونين يعلنون عن عزمهم للهرب ويحددون له موعدا .. وهم لا يهربـــون من اجل ارتكاب جرائم .. وانما كى يموتوا فى ساحة الشرف .. عجبـــا لهم من بشر يهربون للموت وليس للحياة .. قال المأمور :

— سيسقط منكم ضحايا .. والباقى لن يخرج .

قال زكى مراد :



ـ لا .. سنخرج جميعا من بوابة السجن .. أحياء او اموات ..

ويتساءل المأ مور :

ـ ما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟!

واقول :

ـ حتى تصل المأساة ذروتها ..

يسأل المأمور :

ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ؟..

ويتناول زكى مراد الورقة والقلم من المأمور ويسجل عليها مطالبنا : الافراج عنا كى نموت فى ساحة القتال برصاص الغزاة خلال ٤٨ ساعة . او استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن . ويوقع وأوقع بعده .

كانت لحظة مع زكى مراد .. وكان موقف مع زكى مراد ..

لاتزال قصيدتك التى سجلت هذه اللحظة تعيش كل حروفها فى قلبى وقلوب أصدقائك الذين اتوا اليك من كل مكان .. لم يكونوا فى وداعك يا زكى .. كانوا وكنت معهم نسمع اغنية من اغنياتك الحبيبة التى غنيتها لنا فى قلب الصحراء . وفى ظلام السجون .

صوتك الدافىء فى قلبى . وابتسامتك المشرقة المتفائلة تبعث الامان فى نفسى .. انت لم تمت يا زكى .. وابدا لن تموت .. فأنت فى قلوبنا الحب والامل والحلم .

# صديقى ومعلمى

## ماهر زكى

من الصعب على الانسان ان يجمع افكاره فى مثل هذه الظـــروف .. ومن الاصعب علىّ انا شخصيا ان اقول كلمة رثاء فى صديقى ومعلمى زكى مراد .. ذلك اننى كنت معه قبل مصرعه بساعات .. فعندما جاءنى النذير بالخبر المشئوم .. لم اصدق ، ومازلت اللحظـــة لا اصدق اهكذا يموت زكى مراد .. هذا هو الموت .. حقا ان الموت جبان .. جبان ذلك الذى لا يدخل من الابواب .. لا يحذر ولا ينذر ولكنه يدخل من ثقوب النوافذ ويطعن من الخلف كالجبان .. فرحى لكم يا من تتوارون وراء الاسوار والابواب خوفا من ذلك الجبان لتعيشوا اكثر جبنا منه .. وانا عندما كذبت الخبر لم اكن كافرا او ناكرا لمشيئة الله وقدره وقدرته فأين اكون انا من عمر بن الخطاب الذى نصر اللــه الاسلام به عندما استعمل سيفه من حسامه وقال مهددا " ورب الكعبة من يقول ان محمدا قد مات سأطير رأسه بهذا السيف " .. وكانت ردة المسلمين . لولا ان الهم الله ابابكر الصديق ليقول كلمته المأثورة " ايا معشر المسلمين من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان منكم يعبد الله فالله حى لا يموت . فثبت الى رشدى واستغفرت الله ثلاثا . لولا ان دار امام خاطرى شريط سينمائى سريع طوله الف عام من المعاناة .. بدأ الشريط معى سنة ١٩٦٤ ، عندما التقيت معه برابطة الطلبة النوبيين .. ولم يكن لزكى مراد مشاكل خاصة فهو ابن الشيخ محمد ابراهيم عمدة ابريم .. لكنه كان يحس بمشاكل الطلبة النوبيين الاخرين .. ثم كونا فيما بيننا لجنة ضحايا خزان اسوان . وكان زكى هو فارس هذه اللجنة .. فمنذ نعومة اظفاره وهو يصمم على ان يحمل على عاتقه مسئولية حل مشاكل النوبة باعتبارها امه الحقيقية واذا به يستبدل امه الصغرى بامه الكبرى مصر فينضم الى حركات

التحرر الوطنى ويعادى الاستعمار ويقف ضد الحكومات الموالية لقوات الاحتلال .. وبنفس السرعة التى انتقل بها من النوبة الى مصر ينتقل الى حركات التحرر العالمى ويتعاطف مع شعوب العالم .. يتعاطف مع شعب ايران وعمال موزمبيق وثوار انجولا .. ويعادى كل الحكومات الدكتاتورية .. يعادى فرانكوا وسالازار وسنج مان رى وكل الدكتاتوريين الذين يتخذون من الديموقراطية المزيفة شعارا لدكتاتوريتهم .. ويسرع الشريط الخطى فيدخل وراء السجون والمعتقلات ليسجل عليه تمننه واصراره ونضاله ضد الامبريالية العالمية فيرفع لواء الاشتراكية العلمية دفاعا عن العمال والفلاحين وكل الكادحين .

كان هذا هو زكى مراد المناضل .. واليكم زكى مراد المعلم الذى علم جيلا باكمله حب مصر والانتماء الى تراب مصر .. علمنى انسانا شخصيا الكثير .. علمنى فى حقل المحاماة الا اومن بما يقوله بعضا ئيل نعيمة من ان المحامى الناجح هو من جعل من الباطل اجفانا للحقيقة . لكنه اكد لى قول رسول الله : ان لعن الله امة ضاع الحق بينها وان الساكت عن الحق شيطان اخرس .. وعلمنى فى حقل السياسة بان التعبئة بلا توعية تخلق آلات صماء وان التوعية بلا تعبئة تخلق رجالا ثرثارين .. وحذرنى منهما متفرقين ..

كان هذا هو زكى مراد المعلم وبقى زكى مراد الشهيد تحقيقا لقول رسول الله " من مات وهو يدافع عن حق مات شهيدا ، ومن مات وهو يدرأ ظلما عن انسان مات شهيدا " .

لنم هانئا فى مرقدك يا مناضل يا معلم يا شهيد .. ونرسل معك تحياتنا الى كل المناضلين .. الى شهدى عطية ومحمد عثمان وفريد حداد ... الى القويسنى وشبل وجوده بدر ... الى كل المناضلين النوبيين الى محمد خليل قاسم وخليل الاس .. وكل الرفاق الذين سقطوا فى الطريق ..

قل لهم يا زكى كلمة الحق التى طالما دافعت عنها .. قل لهم اننا لسنا بخير .. لسنا بخير .. ولكن اكد لهم من خلال ابتسامتك

الضيقة باننا لن نخفض الراية ابدا .. بل سنرفع راية الانتصار عالية ونسير فى الطريق الذى رسمته لنا دون كلل او ملل او يأس حتى نبدد الظلمات وحتى يشرق نور الصباح .

ثم ها انا فى مرقدك يازكى فانت لم تمت .. انت حى فى قلوبنا بل الحق الحق اقول لكم يارفاق : ان زكى لايموت .

هكذا قال الشاعر عندما سألوه : هل مات ابوك ؟ قال لا : انا لايموت ابى ففى البيت منه روائح رب وذكرى نبى .

وانت يازكى لاتموت .. ففى الوطن منك روائح رب وذكرى نبى .



# زكى مراد شهيد الجبهة الوطنية

اسرة التقدم

يحمل كل فرد من افراد اسرة " التقدم " فى عنقه جميلا لزكى مراد المناضل الثورى ، سواء كانوا متهمين دافع عنهم بشرف فى ساحات المحاكم ، او مسجونين شاركوه مرة من مرات سجنه المتعددة فى احدى الزنازين فى سجن من السجون ، او كانوا نقابيين مضطهدين تبنى قضاياهم ودافع عنهم .. وانه لمن الصعب علينا جميعا ان ننسى ابتسامته وتفاؤله وقوة روحه العظيمة .

ولد زكى مراد فى سبتمبر ١٩٢٧ وكان اثناء دراسته فى كلية الحقوق من ابرز قادة الحركة الطلابية المصرية ومن اقوى المناضلين ضد معاهدة صدقى ـ بيفن . واختير عضوا فى اللجنة الوطنية للطلبة والعمال سنة ١٩٤٦ ، وهى اللجنة التى قادت كفاح الشعب المصرى ضد الاحتلال والاستعمار والمتعاونين معهم . وكرس انتاجه المكتوب نثرا وشعرا للمقاومة .. فقد شارك فى تحرير مجلة " ام درمان " التى كانت تطالب بوحدة الكفاح المشترك بين مصر والسودان ضد الاستعمار والاحتلال وكان واحدا من الكتاب البارزين فى الجرائد التقدمية التى صدرت فى مصر مثل جريدة الملايين ـ مجلة الكاتب ـ مجلة الجماهير ـ مجلة الواجب ومجلة الضمير .

اختير لنشاطه البارز عضوا بسكرتارية اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام .

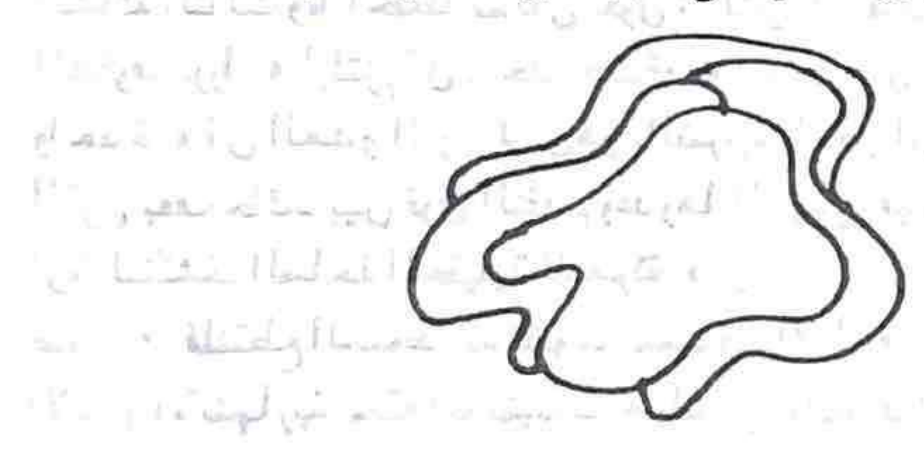
وفى عام ١٩٥١ اختير عضوا فى لجنة الميثاق الوطنى التى صاغت برنامج الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية السودان واعتبار وجود القوات البريطانية غير شرعى والدعوة لاعلان الكفاح المسلح . وبعد الغاء المعاهدة شكل مع زملائه لجان المقاومة الشعبية التى تولت تدريب المواطنين على حمل السلاح والهجوم على المعسكرات الانجليزية

بمنطقة القناة .

منذ تخرجه من كلية الحقوق عام ١٩٤٦ عمل محاميا وكان يعشق مهنته ويمارسها على انها دفاع عن كل مظلوم حتى ينال حقه ويمارسها على انها نضال عن الحق ضد القهر والاستبداد مهما كان مصدره . ويمارسها على انها دفاع عن الشعب . ولهذا لم يكوّن زكى مراد ثروة ابدا . فلم يكن يرى فى الدفاع عن الشعب وطلائعه مصدرا للاثراء .. قضى نصف شبابه الاول فى السجون " اربعة عشر عاما كاملة معتقلا او محكوما عليه او محبوسا احتياطيا . وفى كل مرة تهدد حريته كان يخرج الى ساحة النضال اكثر حماسا .. اكثر نشاطا واكثر فداء واكثر خبرة .

آمن زكى مراد دائما بضرورة قيام الجبهة بين مختلف فصائل الحركة الوطنية والتقدمية ومن موقعه هذا كان صديقا لحزبنا وعضوا مؤسسا وبارزا فى لجنتى الدفاع عن الحريات كمحام والدفاع عن الثقافة القومية كمثقف وشاعر .

ان اسرة " التقدم " واصدقاءها ليشعرون بالامتنان والفخر لانهم عاشوا فى عصر انجبت فيه الخبرة النضالية التقدمية المتنوعة للشعب المصرى وطلائعه هذا النموذج المتكامل للرجل والبطل وعظيمة هى الارض والافكار التى انجبته وربته فروا ها بدمه .



# لم يعد في حاجة إلى هدايانا

د. عصمت سيف الدولة

..... ثم فجأة غاب زكى مراد ، وجئتم تهدون الغائب انا شيد النضال الحاضر فماذا ستقولون ؟ لست ادرى ولكنى اقول قولا ليس شعرا . ان زكى مراد لم يعد فى حاجة الى هدايانا من الشعر والنثر ولكن مصر ، مصر الحرية ، مصر الوحدة ، مصر الاشتراكية هى التى فى اشد الحاجة الى مايعوضها عن ابنها الغائب زكى مراد . ومصر الخصيبة حبلى بثورة الجيل الجديد ، مصر الحبلى تتفصد عرقا وتتلوى الما هو الم المخاض . فقولوا شعرا وغنوا لمصر العربية لتنجب مزيدا من زكى مراد . ليس زكى مراد المفكر فقد كان يحمل افكار جيله .. جيلنا ، وليس زكى مراد المقاتل فقد قاتل معارك جيله .. جيلنا . ولكن زكى مراد الموقف ، الذى صاغه على هدى خبرته الطويلة . وطرحه فى هذا المكان على الجيل الجديد .

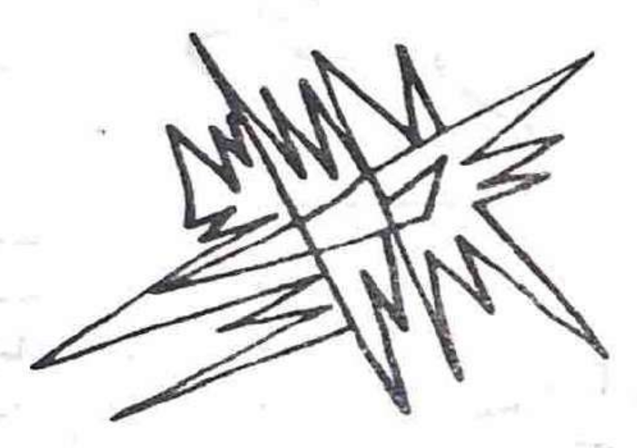
ولست اعبر الا عما قاله زكى مراد يوم ان احتفى حزب التجمع بعيد انشائه الثالث وما احفظه مما كان يقول : لتفرز الصفوف فورا ، لتفرز الصفوف فورا ، ليلتزم كل واحد خندقه ، لتلتحم قوى التقدم فى جبهة واحدة ، ان العدو الاول ليس هو بالضرورة العدو الرئيسى . العدو الاول يقف حائلا بين قوى التقدم وعدوها الرئيسى فيجب ان يصفى اولا لتنكشف الساحة الحقيقية للمعركة ، ويعرف كل واحد من معه ومن ضده . فلتقطع الخيوط العنكبوتية متعددة الاطراف والصلات ولتسقط الافكار الانتهازية ملفقة المحتويات ، ولتصفى المواقف الوسيطة التى تراهن على كل الاتجاهات ولتطهر مسيرة الجيل الجديد من الاوهام التى فتكت بجيلنا من ظنون النصر بأنى صلح ، من الحرية تكتسب اتفاقا ، سواء كانت ظنونا بريئة او كانت ظنونا آثمة .

وليعى الجيل الجديد منذ البداية لماذا دفعنا نحن اعمارنا لنعرفه فى النهاية . ليس الناس فى الوطنية سواء ، ليس الناس فى الحرية سواء ، ليس الناس فى الاشتراكية سواء ، ليس الناس فى الوحدة سواء . وفى الوطن الواحد كما يوجد الشعب يوجد اعداء الشعب .

ان وعى الجيل الجديد وفعل فسيعرف من لا يعرف ان زكى مراد قد غاب ولكنه لم يمت وان آلام جيلنا قد كانت مقدمة لميلاد ولم تكن سكرات موت .

وبعد ، فحين توفرت لى شجاعة الكتابة الى الناس فى ١٩٥٦ اهديت كتابى الاول الى الانسان . ذلك الكائن العظيم الذى احبه . وكان للانسان حين كتبت مواصفات وخصائص لا يكون انسانا الا اذا اجتمعت له حتى لو بقى بدونها حيوانا ناطقا ، كانت اولى الخصائص واعلاها هى المقدرة على ان يقول فى كل الظروف ، فى مواجهة كل القوى ومهما تكن المخاطر : لا . وانى لجد آسف ، حقيقة آسف ، على اننى لم اكن اعرف زكى مراد فى ذلك الوقت مثلما عرفته عندما اجتمعنا فى خنادق المقاومة ضد العاصفة الخائنة الفنية العاتية .

ولو كنت قد عرفته لما كان اهدائى الى انسان مجرد بل لقد كان اهداء كتابى الاول الى انسان محدد .. الى زكى مراد ، ذلك الانسان العظيم الذى احبه . والسلام عليكم .

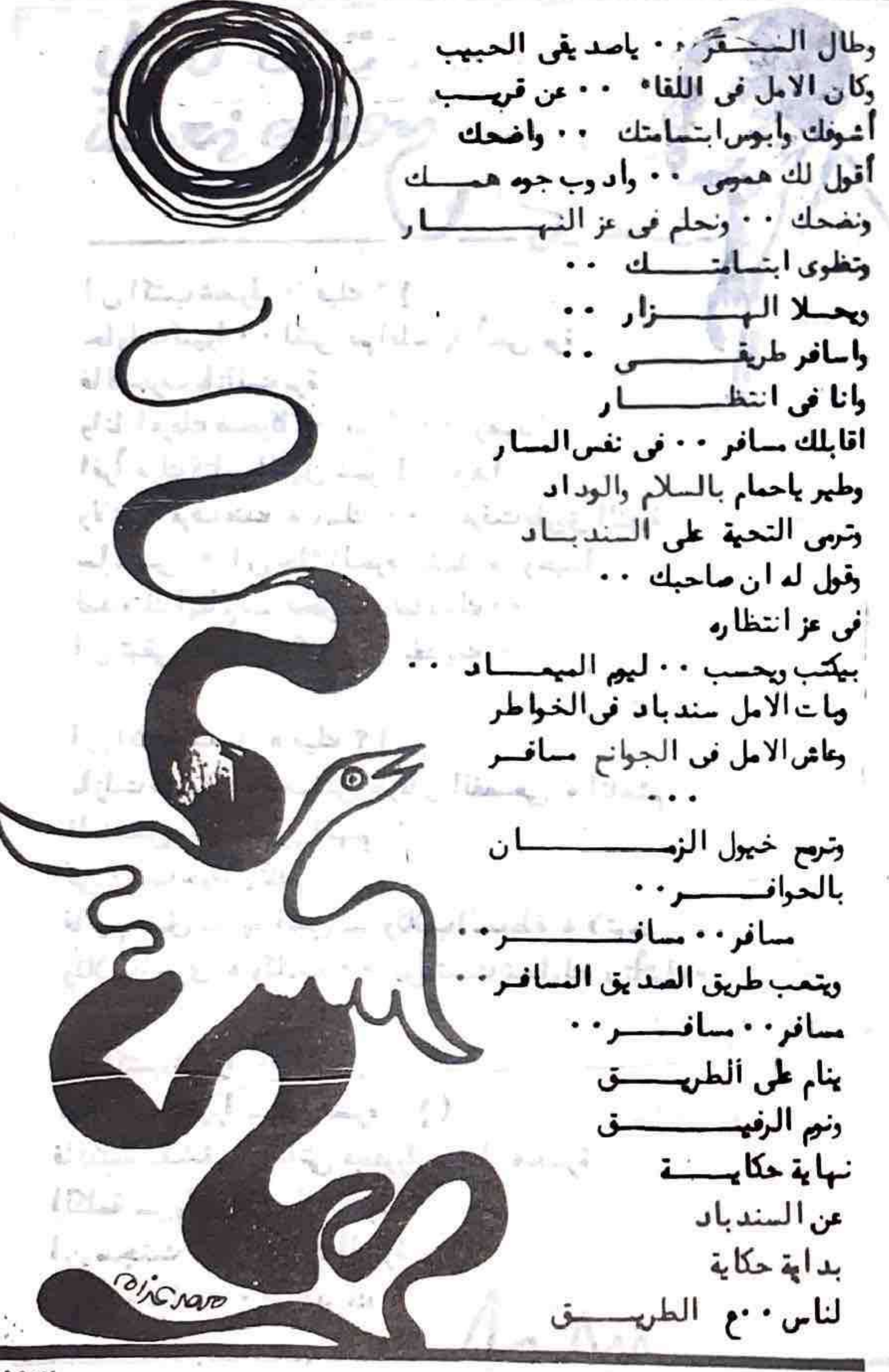




# مسافر

أحمد فؤاد نجم

مسافر .. مسافر ..
ودايما مسافر
ومهما الطريق كان بعيد
او قريب
مسافر بعمرك
وامرك عجيب
كانك بطبع المناد .. سندباد
وعاشق .. وعشقك بعيد البلاد
مسافر تودى الوداد للرفاقة
مسافر .. تجيب الحليب للولاد ..
يدور الزمان بالمكان والوجود
يقابلك مسافر ..
وتجرى الحوادث
وترجع تعود
وتفضل مسافر ..
ويوم ما اتقابلنا ..
قابلتك مسافر ..
ويوم ما افترقنا ..
فارقتك مسافر ..
أيا سندباد
وداير تلف الزمان والبلاد ..
مسافر لانك لقيت الحقيقة ..
مسافر لأنك عرفت المعاد ..




وطال السـفر .. ياصديقى الحبيب
وكان الامل فى اللقاء .. عن قريـب
أشوفك وابوس ابتسامتك .. واضحك
أقول لك همومى .. وادوب جوه همـك
ونضحك .. ونحلم فى عز النهـار
وتطوى ابتسامتـك ..
ويحـلا الهـزار ..
واسافر طريقـى ..
وانا فى انتظـار
اقابلك مسافر .. فى نفس المسار
وطير ياحمام بالسلام والوداد
وترمى التحية على السندباد
وقول له ان صاحبك ..
فى عز انتظاره
بيكتب ويحسب .. ليوم الميعـاد ..
ومات الامل سندباد فى الخواطر
وعاش الامل فى الجوانح مسافر
..
وترمح خيول الزمـان
بالحوافـر ..
مسافر .. مسافـر ..
ويتعب طريق الصديق المسافر ..
مسافر .. مسافـر ..
ينام على الطريـق
ونوم الرفيـق
نهاية حكايـة
عن السندباد
بداية حكاية
لناس .. ع الطريـق

# يا من كنت تسمعني وتفهمني

زكي عمر

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
حاولت كثيرا .. لكنى لم افلح يا أبتى مرة
فالا حرف مازالت مرة
وانا اعرفك ضحوكا . صلبا .. وعنيدا
اقرأ فيك كتاب النهل شموسا . عهدا
ولانى اعرف عنك . ومنك .. عرفت طريق الثورة
سامحنى . ان جاء الحرف يتيما . ووحيدا
فبدونك ايتام ـ نحن ـ تناديك ..
ان تبقى . حتى نكبر .. نفديك .

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
مازلت ضعيفا . يغرقنى طوفان الفصحى . أتلعثم
فامنحنى الفرصة كى افهم
كى اكتب حرفا يتكلم
فالهم عميق ـ يا ابتى ـ وكلاب السلطة . لا ترحم
وكلاب الحرى . وكلاب .. من تحت شعارك . تأتيك .

ان اكتب شعرا . فيك ؟!
حاولت ـ كثيرا ـ يا حسرة (!)
فالكلمة تعشق ان تأتى عصفورا غريدا . حرة
الكلمة ـ يا ابتى ـ زهرة
ان سجنت .. بهتتك الفكرة
والزارع . انت .. ويناديك .

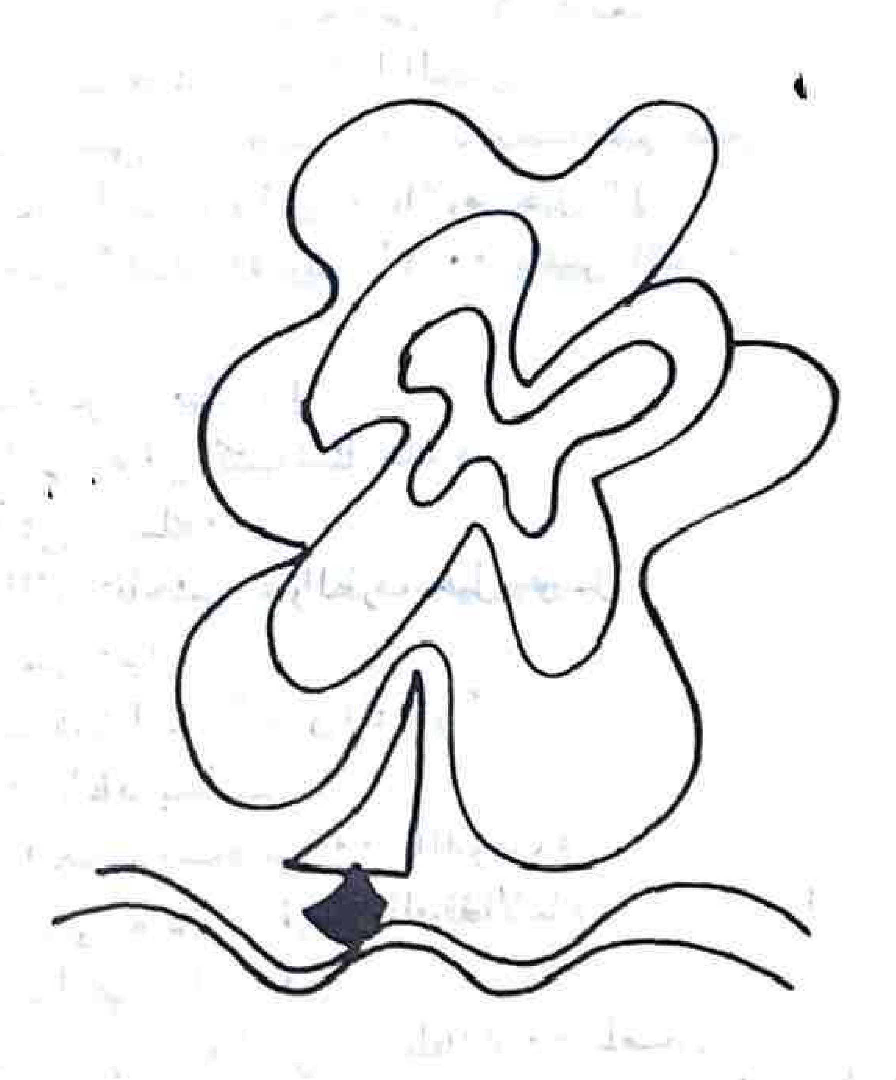
ظمآن جدا ، (فاسقينا ) ... ولتبق ، انى ارجوك .

ان اكتب شعرا ، فيك ؟ !
حاولت ، فشلت .. فسامحنى فالهم - بحجم الهم - ثقيل
ماذا - يا أبتى - عن نهر النيل ؟ ! !
ايه .. شريانى يذرف بترولا ، تسفحه جولدا ، وتريل
والخائن يمشى ، طاووسا فى زى خفير
وأبى - تعرفه ياأبتى - مازال اجيـرا
وانا مازلت اطارك ذاتى - تعرفنى - لازلت صغيرا
القاتل نحن - وصدقنى - ماذا المقتول
لاتغضب - ابتى - او فاغضب .. فالغضب عظيم وجليل
اذ كيف يشح التمر - ( ابريم ) والارض نخيل ؟ !
او .. فين " البلح الابريمى " ؟ .. ياعمنى باليل .

أن اكتب شعرا ، فيك ؟ !
ماكان برأسى ، ان اكتب شيئا عنك ،
آه - ياأبتى - منك ..
ها انت الان تفاجئنى ، والظرف بخيل وعويـل
ماعاد الصبر جميل
فالصبر - بقريتنا - " حرق الدكان "
ايوب .. ماعاد بصابـر
طحنتنى الغربة ، سحقتنى .. باللاوجـاع
ومراكب شمسى ، دمرها قرصان الفرقة والاتباع
لم يبق منها غير شراع ..
هل اصبر حتى تكبر اطفالى - اطفالك .. تلعننى
هل يرضيك ؟ !

ان اكتب شعرا ، فيك ؟ !
ماذا ؟ !

يا أنت الشعر ، وانت النثر ، وانت ..
سنبلة القمح ، وقص الملح ، وكوب الشاى ، وكوب الزيت
يانخل الحقل ، وضوء البيت ..
نادينك ، ان تبقى .. فرحلت ( ! ! )
ماذا أكتب بعد ؟
لن اكتب شعرا سامحنى ، فالوزن ـ بعرض النيل ـ اختل ..
اختل الوزن .. بعرض وطول النيل ( ! ؟ ) .

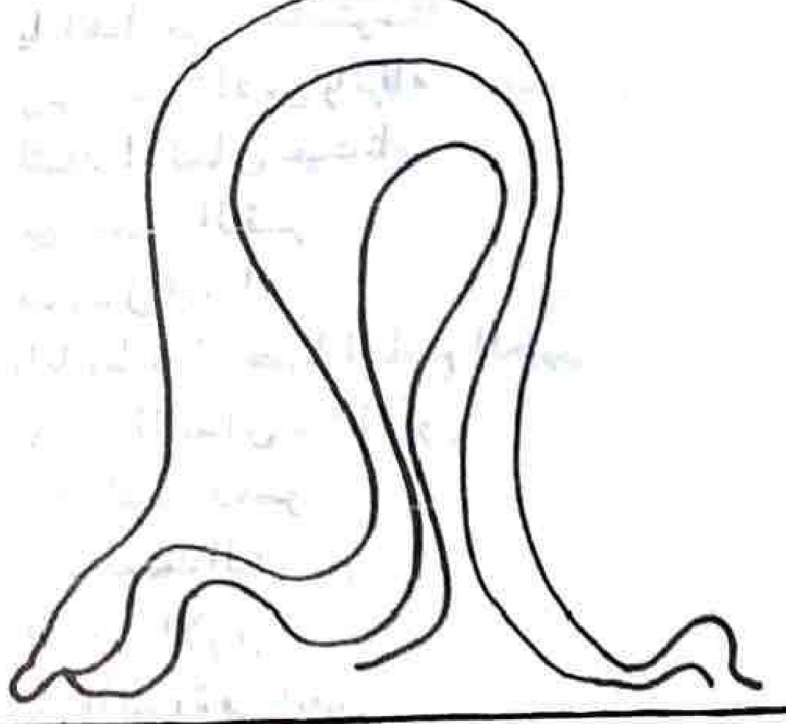


# أغنية إلى النضال

مدحت عبد العزيز

ماتستطيع الكلمات ان تقوله
حين تصبح الحياة شعرا
والممات اغنيــة
حين يكون الفعل لا يرقى اليه الحلم
والواقع بز منطق الاسطورة الخارقة الاحداث
فاق كل امنيــة
يافارس الفرسان فى زمان قد خلا من الشهامة
ياهاديا فى ابحر التضليل والقتامة
تعرف ماتريــد
لم تهلك التنازلات والمساومات
والتماس الامن والسلامة
ياراهبا خرجت واسترحت
زينة الحياة الامن والرفاه
لتنقذ الانسان حيث تاه
من ربقــة الفقــر
ومن ذل الجباه
يافاديا لعار عصرنا الملطخ الجبين
وهبت للانسان حيثما يكون
دماء قلبك الجسور
لحم جسمك الطهــور
لتخضب الارض
وتزرع الحياة فى القبور

اعدت عهد الانبياء
عهد البذل والشهامة
اثرت انت
ان تكون صانعا للمعجزات
تصنع التاريخ
فى دروب العزم والارادة
ايهب للاحرار ان يظلوا
خلف مدخل التاريخ
يسألون النصر من القهر
يمضغون الوهم والبلادة
حيث سربت فى السجون
فى الجبال
ستزهر الفصول
ينبت الثرى السوار
لقد وجدت
قد وجدت .
قد وجد الخال



# ثلاث بكائيات في أحزان الفقراء ..

● محمود شندي ●

## ١. في سرادق الموتى

هذي الكلمات العليلة الرثة المخنوقة .
تتشكل بين حبال الصبر المر ..
بين حبال الشنق ..
تهتف أحزان البسطاء ..
لما باغتني ..
في حالك ومجهول تتماثل فيها الأشياء ..
تراك تشق الأرض ..
يقاتلك السمراء النجلاء .
وتطل علينا كالهدهد رويدا ..
تمسح من عيني الدمع ..
تحيي هذا الحشد .. بكل وفاء .
وأرى في عينيك الصافيتين ..
وفي جبهتك الوضاءة :
تتناوح أنهار .. تتجزأ أنسام .. تتخايل أشجار
وثمار دانية .. وعصافير تشدو .. وزهور

يا محبوبي .. نحن غريبان هنا ..
بين الأشياء الموتى .. والموتى الأحياء .
حدثني .. انزع من صدري ..
هذا الكابوس الجاثم .. هذا الحزن القاتل ..
هذا النصل المغروس بقلبي ..
فلماذا تتركني وحدي .. ؟!
في هذا الليل الموحش .. في هذي الصحراء .
لا تتركني وحدي .. لا تتركني وحدي .
كالطفل الضائع دون رجاء ..
فأنا الغرق في بحر من حولي ..

فقف لا ترحل ..
فلماذا لا تنطق حرفا .. ؟؟!

شيء يعتصر قلبي ..
وضباب يحجب عن عيني الرؤيا
ماذا أنظر .. يا محبوبي .. حدثني .. ؟؟!
إني لا أفهم ..
لم عادت بسمتك الحلوة كالعرجون .. ؟؟
وملامح وجهك باردة كالثلج ..
تشمخ في استرخاء وسكون ..
تتحجر في ألم وصموت ..
فيدق عن عيني وهم الرؤيا .. أدركت ..
بأنك يا محبوبي .. منذ سويعات ..
تحمل ممدودا في تابوت ..
« إنا لله » .. وإنا للموت ..
وإني .. من بعدك أشلاء وهباء .
أتركت حياة المكدودين المرة .. ؟؟

والعرق النابت كالعشب من الجلد ..
والتعب المرسوم على الأوجه ..

من منذ شروق الشمس إلى الغبش الأبلج ..
كنا نملك في أيدينا .. أدق الكون ؟؟
أرحلت وتركتنا .. ؟؟
في هذي الأيام الغبراء ..
وآلام الشعب المقهور تزيد ..
وآلهة الشر تزمجر وتعربد ..
ورأيت وجوه الغدر وأنت تموت .. ؟؟

● ● ●

يا صاحبي كل المشردين ..
ويا فارس أحلام الكهل ..
هل أسكنك صوتك .. ؟؟
هذا الصوت الشاهق ..
في قلب مدينتنا الخرساء ..
من كان زهيدا .. يملأ .. إصغاء ..
يهدم جدران الظلمة .. أسوار الشيطان
من كان حسورا .. سيظل جبارا ..
يهزه .. بعنف في عنق وجه الطغيان ..
من كان عفيفا .. فأنا ما شئت ..
تحت مذود الحقد .. جذور الشوك من الأرض ..
شهدتها .. في وطني للإنسان ..

ما أنباكم .. أن الشمس لغيرهم ملككم .. ؟؟
وأنتم في صحراء التيه حيارى ..
والعاصفة الهوجاء تحاصركم ..
وستقبركم في الكثبان قبابا ..
كما اندثرت عاد وثمود .
ما أنباكم .. ما أنباكم .. ما أنباكم .. ؟
فلماذا أنخلعتم وغد .. وتفرقتم بددا ..
ونثر الأيام مجانا .. وجحيما ..
وأراكم ملتاثين .. كأهل الكهف رقود ..
وأنا أشرق .. أتألم .. أموت بحنجركم ..
آلاف السنوات .. سيدون شهود ..

●●●

## ٢ - في ساحة الفقراء والمحاربين القدماء ..

يا السوق ..
ملء السواعد ما المفتولة ..
صارت كالصخر الجلمود
وعيون كانت تحترق في الظلمات ..
وتشع حبورا وبشرا ..
أمست بائسة .. ميتة ..
ترتع فيها أسراب الدود ..
هل عدنا أشباحا تمشي .. تترنح .. ؟؟
تتعثر منها الريح ..
ما كنا نتحدى في الآفاق .. ؟؟
نشيد مراكبنا .. وبروقا .. ورعودا ..
ما أنباكم .. من كان الفارس في البلد ؟؟
ويبارك في أيدي حكام .. آلهة الطغيان ..
ويقاتل أجناد الليل الدموي ..
حين الناس نيام .. حين الكل ضائع ..
يرتقب القدر الموعود ..
ما أنباكم .. لا تنفروا مكتوفي الأيدي ؟؟
وحبال الذل المجدولة تلتف الأعناق ..
وأنتم في صنب وجمود ..

ملعون .. ملعون .. ملعون ..
من يخفي جبلة المرعوب ..
تحت الثوب المثقوب ..
يمشي قرب الحائط .. يهذي كالمجنون ..
ملعون من يتردد .. أو يتلون كالحرباء ..
ويؤثر أن يبتاع سلامته بسكون ..
ملعون من يحشر فمه المسكين ..
يرشو الصمت المخمر والطين ..
اللعنة للصحف الصفراء ..
وتلك الأصوات الرعناء النكراء ..
نتقيأ كذبا وسخاما ..
وهراء يتبعثر إثر هراء .
هذي الصحف المشبوهة إمرأة ..
قد سفحا .. مخلوقات كأنها بلهاء ..
وتبارك هذا الإثم المتفسخ ..
دمامة الإفلاس ..
وأخلاف الكهنة والسفهاء .
كثرت كلمات .. تخرج من تلك الأفواه الناسية
وللشعوذة بالحيل الأسود .. إلا كذبا ..
وتشاهدت تلك الأرحية والأسياد ..

لمذمومة .. والمأجورة في السوق السوداء ..
يا أوفياء الناس ..
هل من كانوا في ساحات التطهير بغاة ..
كمن غدر في أوكار الخفر سواء .. ؟
من يملك أن يرجع مصر .. أن تسجد مصر .. ؟
وتظل أغنية الخلود ..
أن تغدو مرهفة .. تهفو رحيم
ظعلي وتغدو أيام الفرقة ..
أن تفتح أبواب موصدة ..
لبنات الطير .. وأجنحة الفجر ..
وذئاب تسرح في حيلة ..
كلما وضعت في الأغاني ..
حبال المشنقة السوداء ..

◆

الناس مرايا تكسر .. ومتحطم تنسى قطعها -
أشبه البؤس .. كرايات السحر ..
أوثبة الفاقة والطاحون ..
وبطون خاوية .. وكروش متخمة ..
لا تشبع في نهم ..
والكأس دماء الناس المذبوحين ..
صباح مساء .. ولا يدرون ..
أفواه مغلقة بالشمع ..
وأغلال .. وسعير دائمة وعيون ..
لو أنزل هذا النبين .. على جبل فولاذي
لتفتت وانهار سريعا في الأرض ..
أو كان على نهر فياض ..
لتفجر الماء .. وأمسى حجرا ..
كالبئر المهجورة في بيداء ..
" ولانامت أعين الجبناء "

◆

يا قومي .. من منكم .. ؟؟
يبحث في الصخر الكلمات الدامية الصورة ؟؟
من يربط في عنق القطط الغادر جرسا .. ؟؟
يوقظ أقدام الجرذان المذعورة

من يصنع معجزة تبقى .. ؟؟
يبحث أزولجا ..
في جوف سراديب الليل ..
ليفك الحشب المخشوبة ..
ويمزق أقنعة لطاغوت ..
ويبيح أسطورة ..
من يطلع من هذا الليل المرتبط .. ؟؟
صباحا تشرق فيه الشمس ..
وتعشو البهجة .. ويسيح الناس ..
وتصبح روحي في أغصان الفرحة عصفورة
دنيري .. وأنا في ريب منكم .. ؟؟
يفجعني اليأس .. وتقتلني الحيرة ..

◆

يا قومي معذرة ..
إن الكلمات المرة .. لا تولد إلا
من أرحام الكلمات المرة .. "
وأنا من كمدي ...
لم أغرس في بستانكم اليابس زهرة ..
شتلات زهوري احترقت ..
لم يبق في صدري ..
غير رماد الجمر .. دخان الحسرة ..
فضجيتنا تورق حزنا .. جرحا غائرة -
ترجف إعصارا .. نارا .. تغدو شلالا ..
تصنع أسلحة .. تنزع ملحمة ونارا للملايين ..
" آه .. قد أرتحل مهيدا ..
من يحمل صلبي ويطلع الشمس ..
بأنهار الحب بساتين ..
من كان لنا وطنا ..
منفى .. بحثا .. ثبتا ..
مأوى .. ظلا للمقلوب جموع المحرومين ..
يا حارس في الليل الصخري ..
أغشاش صغار الناس ..
وأغشاش صغارك .. ماذا يفعل .. ؟؟
في قصب الأقلام مساكين ..

الرعبُ يخيّم في الأفقِ الدامي ..
والشوكُ يفجّر في الأعماقِ براكين ..
يا فارسَ أحلامِ الفقراءِ المسحورين ..
هل يجدي أن تغرقَ في بحرِ الدمعِ .
وأن تبكي أحزانَ المكروبين ..
ماذا يجديك .. ؟؟
يا من كنتَ شهابًا رصدًا بالأعداءِ
وما زلتَ قريبًا .. نجمًا خفّاقًا ..
يهدي في الليلِ الساريين ..
لكني .. أنزف قومي وأنا معهم ..
أبحرُ في الفلكِ المشحونْ ..
في بحرٍ متاهاتٍ .. وضياعٍ .. وشجونْ .



## ٣ـ "فوق أطلال النوبة القديمة"*

يا محبوبي : "النوبةُ" جنّتنا ..
تلكَ الفردوسُ المفقودةُ ..
والراقدُ في أغوارِ النهرِ ..
أحلامَ طفولتِنا .. ومرابعَنا الخضراءُ ..
مغاني الفتنةِ والسحرِ ..
وتراشي النخلِ المرصوصةِ في الشطِّ ..
وحصادُ الزرعِ .. وأنواعُ التمرِ ..
وطويلُ ليالي العرسِ .. أغاني الفرحةِ ..
حلقاتُ الرقصِ .. وأنغامُ الطنبورِ ..
وأنينُ سواقينا المنصوبةِ في الماءِ ..
وأهازيجُ الأطفالِ .. وأمواجُ النهرِ ..
تتراقصُ في ذاكرتي ..
أمواجًا .. صورًا تائهةً ..

وأنا أبكيكَ وأبكي النوبةَ .. أبكي ذاتي ..
مطحونًا في نكباتِ الدهرِ ..
كم ضحّينا .. ووهبنا أنفسَنا ..
قربانًا وعزيزًا .. في زهراتِ العمرِ ..
وبذرنا من مهجِ الأرواحِ ...
عطاءً سباقًا .. دفاقًا كالبحرِ ..
لكنّا لم نأخذْ شيئًا ..

لن نطمعَ رغدًا ..
لم نتزلفْ كنزًا ..
غير بساتينِ الذكرى والعطرِ ..
يا محبوبي ..
ستظلُّ مشاعلُنا تعلو ..
تتوهّجُ في الليلِ المعتمِ ..
حتى مطلعِ أضواءِ الفجرِ ..
وشعاعُكَ ما زالَ قويًّا ..
ممتدًّا .. ممتدًّا من عمقِ القبرِ ..
وحضورًا .. سيفًا بتّارًا ..
يقطعُ أنيابَ الظلمةِ والغدرِ ..



# الموت يوقظ ساحة الفقراء

هذا شتاء بائس .. يجوع فيه
صباحه عكر مريب
ومساؤه بالحزن صار بحيرة
والفرح فيه كنزهة الحي ... قصير
...
الموت دون حياء في ساحة الفقراء ..

— يا أيها الفقراء هل لي من منازل
إني مليكة الأرض والدنيا
ومنا صلة الكلام
ما كنت أهوى نجاة
لكنني كالريح أقبل كالرياح
كملائكة الحفظة التي لعبت بباكرة
الفراعنة الأواخر والأوائل ..

الموت عض على نواجذه .. وصاح ..

— هل من منازل
إني رأيت رؤوسا حان الحين لقطفة
آن الحصاد فلاحة مثل القدر
الموت أسفر عن حقيقته مستنفر التاريخ
وراح يوغل في التجني
وربط من قدر البرق ولسعه صحف الكلامية
ستر الجنود الزاحفات على الصدارة
ومضى يدوس خلالها سواعد الفتية والدروب
المائجات غناء حرا بين الجنود ..
....
هذي تباشير القتال
وتلك قارعة الرعود ..
...

أم سوف نمضغ حسرة المرحلة بباقة الجوارح
ونبية تحبك عن تهاوين لنبرئة القلوب
وسكوت عذراء لنترفة الحناء
ونفر رغما من منازلة الرعود
نفر من حرب الحياة ؟!
أم سوف نبحر ما وراء مراكب المرحلة
وظل المجذبين ..
ونحن نقلب ما شئنا هم الفقراء

سمير عبد الباقي

وعبثية الحزن المطارد عبر سيناء
إلى حيث الجحيم ..؟!

## ٣) مساكن الجسد الآخر بلا أنفاس !

هذا شتاء باهت .. آتٍ عليه
الفرح فيه كلمة لا تذكرت
كذاكرة الصغير
والحزن يولد جثة الفقراء أطفالا
كوجه الزمهرير

هذا - وأنت مضنية تستدعي المطر
ليبارك الفرح المقاتل في الدروب
ثم عدت تشعل عند أطراف المدينة والقرى نارا
وتجمع من حقول الكادحين
جذور ما زرعوا وما صنعوا
لتصبح شمسهم دفئا وأغنية
تقود الحلم عبر مساحة الليل الكئيب ..
......
لكنه الحلم الرهيب
وأنت قربانه إليه ..
....
قلبي على أنفاسك الأخيرة
عيني على دقات قلبك المذعورة الأخيرة
وأنت موعودة بثمة البداية القصيرة
تحت خنجر الطغاة
ليشق للعدو منفذا إلى أحلامنا الصغيرة ..!
...
فكرت في أطفالك الأحياء
أم فكرت فينا ؟!
وذكرت ما قد عودتك عليه رحلتنا
وأزمتنا سنينا
أم كنت ترحل خلف ذاكرة الوطن
وتلون الدنيا بأفراح صغيرة ..؟!
....
- آه .. هذه المدينة تنكر الأبناء
لكنها لم تذكرهم
أحببتهم أبدا .. وكان البعض يكرهني ..
ولكني أسامح إن مدت أيديهم لأيدينا ..
- أو هذه الأشياء أذكرها .. أنه

تتشابه الأشياء في كل الزوايا
من واحة المنفى إلى الجرح الذي
صارحت فيه الناس بالحب الذي
أثقل قلبي ..
وأنا وحيد صامت ..!
- آآه .. هنالك لحظة عبر الطريق وطفلة بالبيت
والجرح ما زال بي حيا ..
ولكم وددت من زمان أن أكون شاعرا
ذوبت نفسي في بيان الليل ما شئت ساهرا
- بكلمة من سليل الحقول عرائسا
حزينة الملامح
ثم انطلقت في حدائق الزمان
والحلم طائرا مهاجرا!
وكان قرن الشرق من حلب يا سعد
جريحا
. نزلت من قضبان سجنك —
ما قد وعدتك من قصائد ..
وعبرت نحوك كل تلك السنين
أروي غلة المحب صاديا
لكنني أبعدت نحوك في يد الأعداء
مرتقبا الضفاف
مكبل الكفين ومنكر الوجود ..!
- وكان أن سلم أن أعود ..
أولا أن سلم أن أعود .. حقيقة ؟!
- لكنني حملتك بالأمل الشقي مراكبي
حملتها أمنية مصدية البحار والجياع
وحملت منك أحرفا عربية
لتربية الطفل من الفرح المفتقد
- خرجت من سواحل الدهشة المجردة
طرقت يوما من أجل صنع المصانع
والمزارع بالأغاني الجديدة ..
هدمت منه كل ما أثقل عمري
عند شتي من متاعبي
وأصبحنا أحبة ..
- هذه العربات تركضني وتسلبني دمائي

ما أجمل الأزهار حتى في المقابر
أي حزن سوف أتركه ورائي..
- أنا ما تنكرت لهويتي أبدا وما تنكرت لديني
وزرعته في كل المعترك شارحة
وقرأت فوق مقابر التاريخ أنشودة
دخلت مدائن البأس المدججة بالسلاح
تزهو بكبرياء حرة واضحة المعالم
والملامح للاستكشاف سلاح..
- ولقد هزمت مرة وبكيت مرة
وتخلف الأصحاب عني ذات يوم

حين كان الموت يرصدني - ولكن نجوت..!
كسر الأعداء سيفي ورمحي وما كبوت
وما صمد الناس بجنبي إلا انتظارا
لتشكيل الرياح
ولقد غدرت وطال بي البأس لكني عبرته
تماما مثل خيل المختار في الرمل المراوغ
فارتميت...
لكنني رغم المتاعب والمجاهدة العصيبة والمعطية
لوجهتي نحو الشمس فانتبهت إلى ظلي المتآكل
ما زلت حتى الآن رغم الموت .. أقبل..
فانتظروني..
ستأتيني أقبل من كل المداخل .. فانتظروني
إن حاصرتني مخاوف المواجهة الباسلة
إنني أبدا لم أهزم ولا أهاجر .. فاعذروني
إن لم تكن سماء النصر دارا ونخيلا وبيادر..!

## ③ أبريم ما زالت هناك على انتظار!

(أبريم) ترقد تحت موج النهر منذ زمن
وتنتظر انفجار الغيث بالوعد الذي
عاشته عبر المواسم والفصول..!
كانت تودع كل حين طفلة أو أمنية
للنهر ترسلها وتحلم بالسفين الآتية
من المصير الغامض
وتظل فوق ستائر الموج .. تنتظر

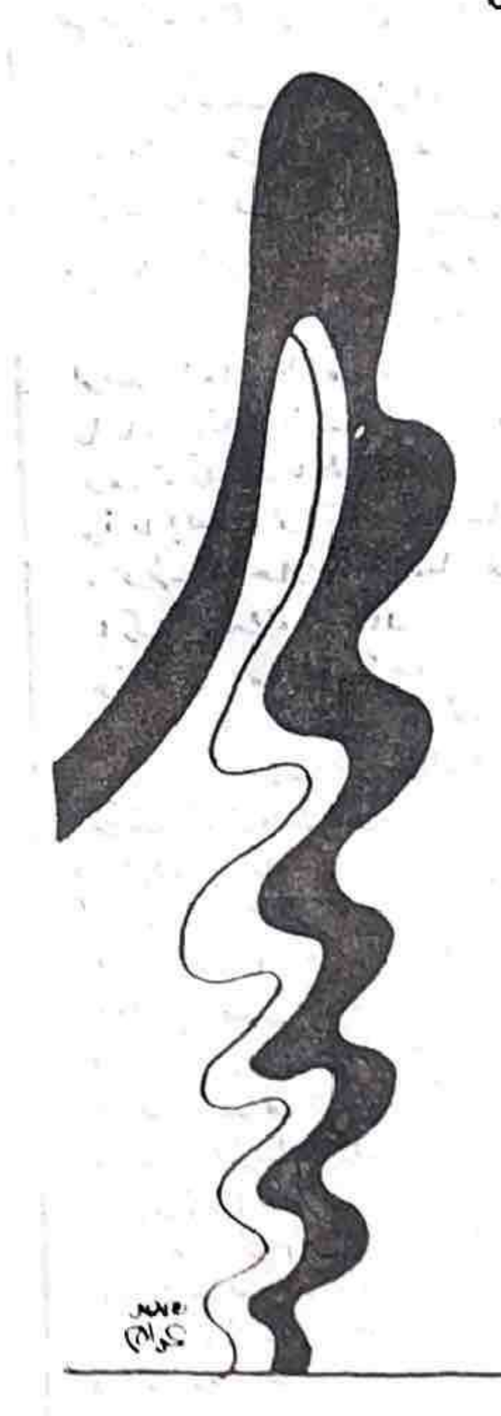
الطيور البنائية
ترحل إلى حضن البستان العاصفات من الغياهب
يا حضن الانتظار
وقنابل الرمل التي تمتد عبر العمر كالقدر المهول
كما ستنكشف الحسرة وربما سيرسله المطر
وقنابل الأيام كما سوف تحمله المراكب

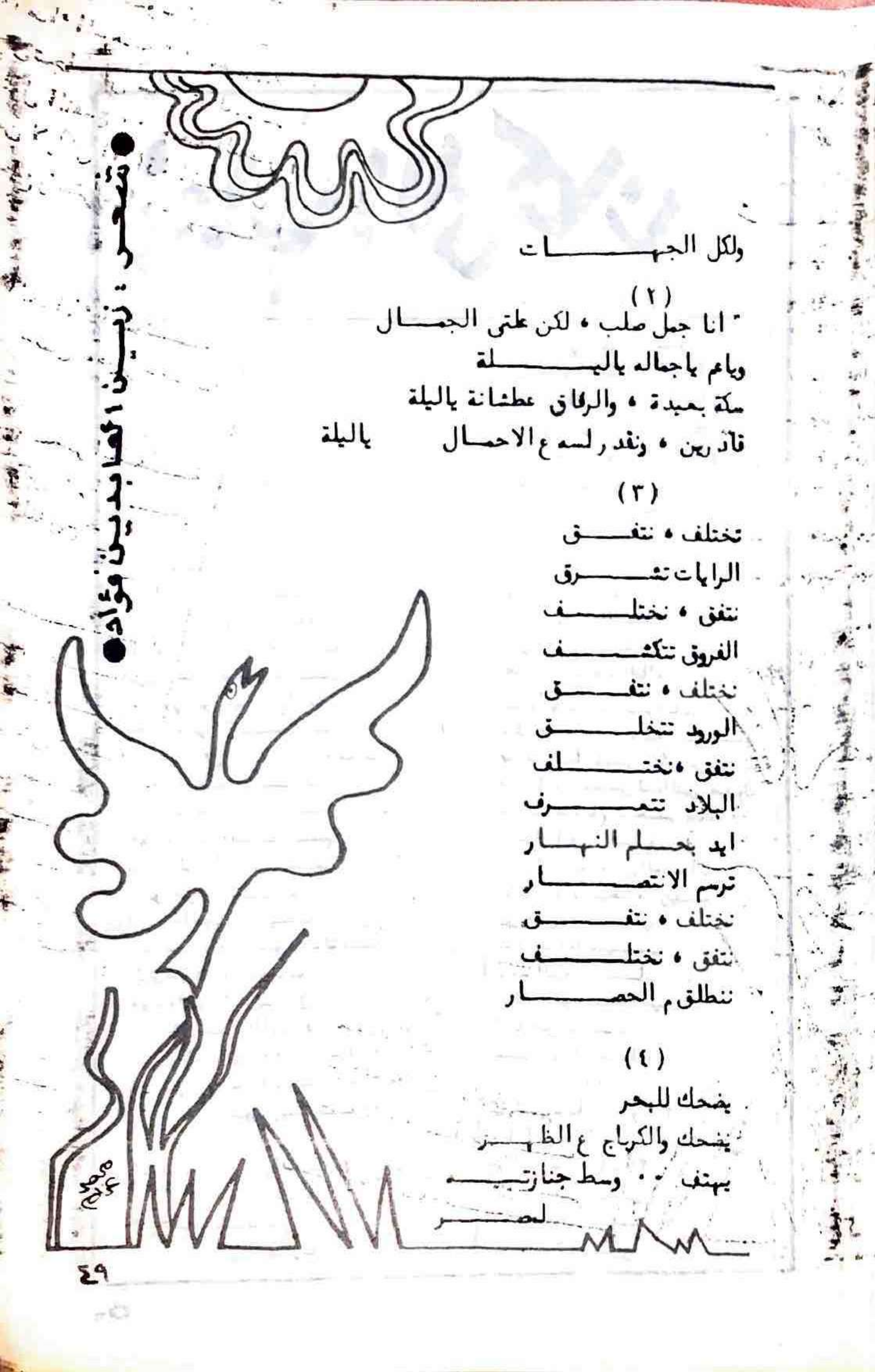
للذين تمزقوا تحت الحصار!!
......
يا أيها الرجل العنيد .. خذلتني ..
لم يدر كل الخائفين طفلك لم يعد ..
لم تخبأ وجميع مزامير العزلة كانت به أبدا
رهينة.
أنا ما وقفت لوعد أولاد الزواني ... قد
ولد دانت تراث الرجم عبر العصر ..
ما كان والد يستطيع خليفتي أبدا ..
ولا كان الزمان بحلوه ومرارة .. ليوما
سيمسي آخته ..

لو لد فرقتك يا بني ..!
فأنا وجدتك أنت بالحزن الحني
وعرفت قلبك بالحروف ..
وأنا إليك لمرات حين انتابني الخوف
وتوقفت أحلام طفلتنا تلاحقها الظلام
باركت خطوك للشمال
وقلت: هذا طائري
أرسلته للبحر كي يأتي إلينا
بحبائل الأطفال والخبز المعطى ..
ورأيتك أنك ما شئت لعب بالأمل الذي يخفيه
هذا الحرب منا ..
أرضعت الخيال انتظارا وأغاني ودمنا ..
فارجع إلى خبز صديك قاتلة
ما عاد يسعفني التمني
وأنا حزين وحدي الترحال أرحل لا أرحل
أدمنت كل في هذه الحقب الجميلة
وتكاثر الأعداء حول النخلة التي حبست رحيلي
هذي أظافرهم على عنقي
وهذي نارهم في عشر فراشي
المدينة حاليتهم وما العشر ولديك
ومضيت أنت كي ترى الحلم الزاهي
أنت الذي حملت ضفاف الهدهدة تبيعه الخريف!




يرجع البلشون يطير
يبتدىء النوبة ، يغلط فى الجهات
يعرف الغلة ، ولون الريش ، وسحر الطيران
يعرف الفيضان
وثوران النبات
يبتدى البلشون يخطى
يكشف السر المغطى
يعرف الفقرا ، وحراس السجون
يشرب الشاى فى الواحات
والحجلات
فى القدم
والمرايات : العيون
والايادى ، والقلم :
ضد جيش القهر ، حربه
للغلابا : ميت علم
تنفرط م العقد ، حبه
يرجع البلاشون يسافر
يخلط النيل ، بالقناطر
يتكسر تحته الجناح
يتنتف ريشه ، يلم الريش جراح
مر حطم الدم
قاسية البوابات
يرجع البلشون يطير
يبتدىء النوبة





شعر : زين العابدين فؤاد

ولكل الجهـــــات

( ٢ )

انا جمل صلب ، لكن علتى الجمــــال
وياما باجماله باليـــــلة
سكة بعيدة ، والركاق عطشانة ياليلة
قادرين ، ونقدر لسه ع الاحمــال ياليلة

( ٣ )

تختلف ، نتفـــق
الرايات تشـــرق
نتفق ، نختلـــف
الفروق تتكشــف
نختلف ، نتفـــق
الورود تتخلـــق
نتفق ،نختـــلف
البلاد تتعـــرف
ايد بحـلم النهـــار
ترسم الانتصـــار
نختلف ، نتفـــق
نتفق ، نختلـــف
ننطلق م الحصـــار

( ٤ )

يضحك للبحر
يضحك والكرباج ع الظهـــر
يهتف .. وسط جنازتـــه
لمصـــر

# شهاب اللي كان

محمود الشاذلي

وايه فينا حد منا الموت الجبان ..
لو خطف منا ابتسامتك .. ؟
كل يوم الموت بيرفرف بجناحاته ع البلاد ..
يصرخ الصرخة البليدة
بيهربوا منها الولاد
كل يوم الموت بيزعق في الوادي
بألف راوي
يصحوا شباك الغناوي
لحد ما تذبل الحياه
يحكوا عن خوفه المرير
من نبتة النور في الحياة
كل يوم الموت بيزلزل ألف آهة
من تدابيره العجيب
كل يوم الموت بيرقص مع المشيب
رقصة الطير الذبيح
لما اترشق في القلب سكين الغضب
وحطم الغصن الصحيح
كل سلطانه الخصيب
هو ده الموت الكسيح
وانت اللي سابق كل يوم
سايب عمر ضايع شاهد .. انسرق
كل ده الموت الضرير
وانت صورتك في العيون عملة ورق
تفرش ضيها ع الطريق
هو ده الموت الغريق
اللي خد منا الجسد
لكن روحك يا رفيق .. نبت الحياه ..
كل يوم تولد لعمر النسمة ..
مليون رفيق ..

...

كنت دايما .. من زمانك ..
ابن حلوة ..
كان حنينك للسمر
نور الايمان ..

النهارده: في حضن "سيتو" أو "سلام"
بكرة وبعد ولاد بلدنا في الغيطان
بعد الموال ونبيص حتى الصباح
بعد بعد بين سطور جبهة شروق
تصف الحب الدوا طب الجراح
أو في يوم أخر بكره نمص صبري
بين ضفاف الزنزانات
مطوي الجناح

..

ما كنت عمرك الانفصال
بالعديد وحرقة الرسال
ما كنش حقنا لينا
عن صبر فاق صبر الجبال
كنت دايما بتشرب السم الكسير .
تحكي عن عطش الرفاقة لمية النيل السكر
نبت قبل النار ما يحرق سكرك من بين ايديك
نبت قبل ما العطاشى لمية النيل يحصدوك
نبت لكن عمرنا ما حنحصي موتك ..
موتك العارف ايقينه
بعد ما طال الغياب
موتك العاشق بيبحث عن رفيقه
رغم أهوال العذاب
بعد الدمعة الحبيسة
ترتعد اليها الديابة
موتك الدفيان بيشفق للسحاب
كل ما يحس السكينة
يشتهي ركوب السحاب

...

مين اللي مات ..؟ ؟
ردوا يا اللي فرقتوا في ليل السكات
مين اللي مات ؟؟
اللي فات رغم السنين
سكة هواه وحزنه
اللي تملا كل يوم ..

فوق الدواين كلنـه
ولا السكـات ..
اللى باتت كل مين تلحن سنينه وسكته ..؟
مين اللى مات ..
اللى حضر أرضا عند الشهيد
ولا السواد اللى اتكتب
على وش سيدنا البلد
...
آه يا بلدنا يا معجزة
هبت عليكى رياح خفية معجزة
يا ما اتكوت بيها الخلود
من صبر أجداد الجدود
واحد ف ميدان الأذى
...
آه يا بلدنا يا معجزة
انتى الحقيقة اللى اتكتب بيها الخلود
يا مصر يا اللى اسمك شفيقة
ويا اعطف ورد الخدود
قال انتظار اللى يتحدى الموعود
قال انتظار الفجر
آه يا اللى حماه السهر
كان ع الطريق
ساعة الموت العشيق
هو ده الماضى يا أسراك
يا مصر يا اللى اسمك شفيقة
وانتى لسه فى عز صباك
مات اللى كان
بيروى سهارى شفقه من كاس السهر
مات اللى كان بالحب يتحدى الخطر
يا مصر يا أم النهار
مات اللى قضى العمر يتحدى الصعاب
ولسه شافك كتاب
لسه شافك حكاية بتتولد ..

ويا كل باب

محمود الشاذلى ..

# الدم المسفوك والصحافة الصفـــراء ..

## الى الرفيـــق الشهيد زكي مـــراد .

شعر جيلي عبد الرحمن

تدحرج الجمران عبر الجسر في كراتـــه
وتمتشق النمال سكنـــا
ونخلة أورثها ابوك في ساتـــه
للفارس الموعود وطنـــــا
يبكي طيرها الطير .. من لي
بقايا .. اصبحت كفنـــا ..

في قلب من ... نزلت الوجيـــب ؟
تختثر الدم المهيـــب !
يا أيها الفارس أمتطيت صهوة المنون ..
والتمعت سيف الصمت في العيون
لألأها يقطر الغضـــب !

* * *

أمنية ؟ علقتنـــا في حائط المبكى
علمتنا .. ان نحرس الهجيـــر .. أبكـــا
لاتجعلني من رسم عنوانك الفاحـــم
ولتقمصي في ثوبك القاتـــم !

* * *

مقلولة القدمين .. ابهـــم
ولمحة المنهين .. ابهم
وعقلتها في السجن ، والصخـــرة
النيل يجري يحمل الخضـــرة
والتمر ، والبرعـــم
وصلل الليمون .. والنجم
وتوهجت ابهم .. كالجمـــرة
من حائط الجحيـــم ..
وحلمت بالأنداء .. والثورة ..

* * *

ارتعدت غرفة التعذيب والزنزانـــة ..
ارتعدت البادن المهانـــة

* * *

لاتجعلي من رسم عنوانك الفاحـــم
ولتقمصي في ثوبك القاتـــم
هذا دم يختـــال في الصحـــراء ..
( فخذاك قد عرفا في القدس ، والجليل
حلي رحيمة تلعقها سيناء
وحاجم الطباء من الرهيـــف الجميـــل )

* * *

هذا دم الابرار والفقـــراء
يسطل في لحاء القلعة الأسبانيـــة ..

تجندلت خيوطها حبـــاء ..
مادب الملوك والقيانـــة ..

* * *

أيتها العاهـــرة .. الصفـــراء
لاوقت للفجـــور .. والخيانـــة
تقي من الرياء .. والعويـــل
فوق الايادي .. ولية القتيـــل

( عدن ٣٠/١٢/١٩٧٩ )

جريدة الثوري — العدد ٥٨٥١
التاريخ ٨ يناير ١٩٨٠ ) .



# الإنسان الذى ازدادت صلابته

د. فؤاد مرسى

لا زلت حتى اليوم اذكر حركات الطلبة الرائدة المتدفقة الحماسية القوية المتلاحمة مع العمال والتى اندفعت كالسيل تحطم امامها كل مؤامرات الاستعمار العالمى انجلترا او امريكا كان فى سنوات ٤٦و٤٧و١٩٤٨ وما تلاها .. وكيف كنا ونحن طلبة نجمع النقود ونشترى السلاح ونتداعى ونتحد ونفور ونغلى ونثور .. بدأ ذلك الامر وكنت رئيسا لاتحاد طلبة كلية الطب بالاسكندرية عندما سمعنا ان هناك زملاء لنا بالقاهرة تعدوا نطاق الطلبة وتآلفوا مع العمال فيما سمى فى ذلك الوقت اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة التى كانت خلال هذه السنين رغم جبروت الاستعمار البريطانى واذنابه من قيادات الحكومة المصرية وخاصة الرجعية منها امثال محمد محمود واسماعيل صدقى الذى حاول ان يكبل مصر بمعاهدة صدقى بيفين ( وهو غير بيجين حاليا ) وكان وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الوقت) ولم يستطع أمام المد الشعبى الجارف ـ اقول كانت اللجنة التنفيذية للعمال والطلبة تملك وتحكم الشارع هذه السنين وكنا نحن اعضاء هذه اللجنة بالاسكندرية وكنت احدهم وكذلك كان الدكتور محمود القاضى .. كنا ننظر لزملائنا بالقاهرة الذين بدأوا فعلا الاتصال بالطبقة العاملة وشكلوا معها اللجنة التنفيذية العظيمة التى مهدت لثورة ٢٣ يوليو٥٢ . كنا ننظر اليهم كأبطال صناديد .. وكان منهم وابرزهم فى النضال والقيادة والشجاعة والجسارة والحكمة واحكام التكتيك السياسى والوقوف حجر عثرة امام كل ما يدبر بليل من مؤامرات ضد مصر .. كان ابرزهم وفى مقدمتهم الشهيد .. زكى مراد .. لا يهدأ ولا يكل ولا يتراجع الا ليتقدم .. كله ثقة وامل وتفاؤل رغم السجن والاعتقال والتشريد وكلما لقيت زكى مراد وجدته هكذا يزداد صلابة كالمعدن النفيس وكالصلب .. لا ينثنى ولا يلين .. وكان وزملاؤه البارزون فى قيادة

اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال يقودون المد الشعبي المتواصل الذى منع اى ارتباط او تهادن مع الاستعمار البريطاني وانتهى فعلا شعبها وحكومها الى اقرار مبدأ الكفاح المسلح طريق التحرير لمصر من استعمار رزحت تحت وطأته سبعين عاما .

كان الشهيد زكى مراد بطل وقائد كلية الحقوق فى القاهرة مع زملائه من القيادات البارزة للطلبة محمد الجندى واحمد الرفاعى والمرحوم مصطفى مؤمن والدكتور ابراهيم الشربينى ومن قيادات العمال محمد على عامر وغيرهم ساهرون على وحدة قوى الشعب المصرى متمثلة فى احزابه الوطنية وقواه الشعبية ...

وبقى زكى مراد هكذا دائما .. داعيا الى الجبهة الوطنية الديموقراطية طريق النضال الى التحرر الوطنى وارساء القاعدة المستقلة للاقتصاد الوطنى الركيزة الاساسية للتحول الاشتراكى .

اقول بقى هكذا رغم اكثر من ١١ سنة سجن واعتقال ومحاكمة قاربت المشنقة او الرصاصة عنقه اكثر من مرة .. بقى هكذا يحارب من اجل وحدة الشعب المصرى .. لم يزده الزمن الا صلابة ولم تنل منه سنوات السجن والاعتقال فى ابوزعبل وطره وغيرها من السجون وفى معتقلات الواحات القاسية التى كان يراد له فيها ورفاقه الموت البطئ .. لكنهم وبقيادته حولوا السجن الى واحة خضراء وارفة الظلال وبدل ان يموتوا جوعا وببطء اخذوا يصدرون الخضروات والفاكهة الى موظفى السجن ومديريه ومحافظ الواحات وموظفى المحافظة .. وكان عملا انسانيا باهرا يؤكد على قوة الارادة والتضامن والكفاح الواعى من اجل استمرار الحياة وانه لا مستحيل امام رفاق يعلمون ان الشعب المصرى يتطلع اليهم فى ازماته المتتالية وكفاحه المتواصل .. ولا ننسى كيف كان وقع نبأ العدوان الثلاثى على المعتقلين بالواحات ومنهم الشهيد زكى مراد البطل فى اكتوبر ١٩٥٦ وكيف انهم وبقيادته قرروا انهم لا يمكن ان يبقوا فى الاسر ومصر تكافح هذا العدوان وكيف ذهب بطلنا الى مأمور السجن المتعاطف معهم بعد ان ساعدوه فى شفاء ابنائه من تسمم وموت محقق .. كيف ذهب اليه الشهيد زكى مراد واعطاه مهلة لا يام

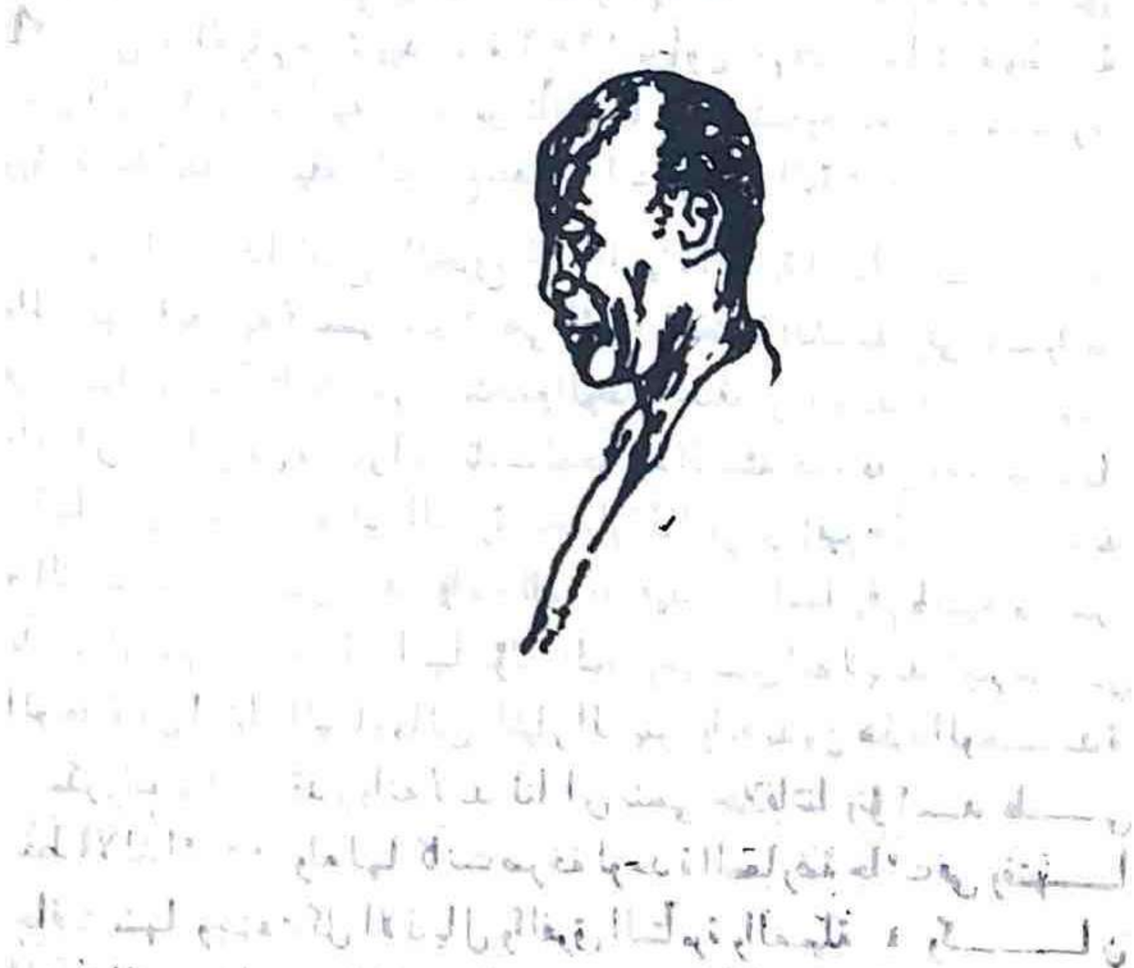
اذا لم يفرج عنهم للانضمام الى الشعب الذى يحارب قوات انجلترا وفرنسا واسرائيل .. نظرة واحدة الى هذا التصميم العظيم والموقف البطولى لشهيدنا الذى لن ننساه .. وهو يناقش مأمور السجن الذى قال له رغم تعاطفى معكم انت تعلم انكم اذا خرجتم بعد هذه المهلة لابد ان اؤدى واجبى وانت تعلم ماذا سأفعل لمعتقلين يحاولون الهروب من المعتقل .. وكان الرد الحاسم من الشهيد " سيدى المأمور نحن نفعل ونؤدى واجبنا ازاء وطننا وانت تؤدى ما عليك من واجب وظيفى وتترك ذلك لضميرك " ... هذا الموقف العظيم والبطولة الفذة والقدرة النادرة على الصمود رغم سنوات السجن والاعتقال والضرب والاهانة والتعذيب وموت الرفاق .. هذا الموقف يؤكد لنا ان هناك معادن من الرجال والمناضلين لا يزيدهم السجن والتشريد والتعذيب الا صلابة .. وعلى رأس هؤلاء كلهم .. نضع شهيدنا زكى مراد .. انها لم تكن صلابة فقط ولكنها كانت نظرة صائبة للامور تأكد على مر الايام من تأييد ثورة ١٩٥٢ منذ اول يوم على انها ثورة وطنية تمثل البرجوازية الوطنية ولابد من تأييدها وقد ثبتت وجهة نظره ورؤيته الشاملة الدقيقة للامور مع نقد الذات فى نفس الوقت .

ولذلك بعد الافراج والخروج الى الحياة العامة السياسية والوطنية والعملية لاننسى ونتذكر على الدوام خطبة الشهيد زكى مراد فى عيد الميلاد الثالث لحزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى .. حين قال ان كل امر من الامور اذا كانت لجوانبه السيئة جدا فان له ايضا جانبا مضيئا ، وهذه هى النظرة الجدلية للامور من زعيم هذه صفاته وتلك صلابته ، حين يصف مؤامرة كامب ديفيد على انها رغم مافيها من مآخذ نرفضها جميعا الا انها تؤكد للمعارضين انه لابد لهم من الوحدة من التيار اليسارى الى التيار الدينى وانه بدون هذه الوحدة لا يمكن لمصر ان تتقدم وانه لابد لنا ان ننسى خلافاتنا ونؤكد على نقط الالتقاء .. ولعلها كانت صرخة لوحدة المعارضة جاءت فى وقتها خافت منها وجزعت كل الاذيال والفرق المتآمرة والعميلة ، وكان الضوء الاخضر ان هذا الزعيم الذى لا تزيده الايام الا صلابة

ولا التعذيب والسجن والاعتقال الا رؤية صائبة متأنية للامـــــور ..

هذا المناضل الكبير لابد ان ينتهى .. لكن نسى المتآمـــرو ن والعملاء اننا كلنا زكى مراد وان هذا الشعب الذى انجب عمر مكـــرم وعرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول وعبد الناصر وزكى مراد قادرا علـــى ان ينجب من يقيله من عثرته ويرشده الى طريق الجبهة الوطنيـــة الديموقراطية طريق الركيزة الاقتصادية المستقلة سبيلنا الى التحـــول الاشتراكى العظيم .

عاشت ذكرى الشهيد زكى مراد حية باقية ابدا .. هاديـــة لنا دائما فى نضالنا الطويل من اجل ما استشهد فى سبيله من اهـــداف عظيمة .



# هموم حقوقي في الأربعينات

مقطع حلو سلس من قصيدة لزكي مراد ضمنها ديوان " سرب البلشون " مجموعة اشعار من النوبة اشترك معه فيها محمد خليل قاسم ، عبد الدايم طه ، ابراهيم شعراوي ، محمود شندي ، اما لماذا لم يهدي شيئا في حياته الماضية لوالده ؟ ! فالاجابة تعود على انه حمل هموم وطنه على كاهله وبلور لدينا النموذج الفذ للقيادة النوبية الوطنية المصرية المعبرة تعبيرا حقيقيا عن مصالح المعدمين من ابناء وطنه من جنوب الوادي الى شماله .

كان تخلف الوعي الطبقي لدى النوبيين الفقراء بالذات ، ما القى بمسئولية ضخمة على عاتقه كمثل بارز لفصيل من فصائل القوى الوطنية التقدمية وطرح امامه مهمة تسليح هؤلاء بالوعي الطبقي الثوري ، ومن هنا لا عجب في انه قضى فترة طويلة من عمره بين جدران السجون منذ الاربعينيات حتى اواخر السبعينيات وجسد بنضاله وفكره داخل السجن وخارجه قيما شريفة في مواجهة النظم المستبدة والفاشية الجديدة وفي مواجهة باشوات الاقطاع وسماسرة السوق السوداء . ودافع عن تراب مصر ضد الخطر الصهيوني الامبريالي ووهب حياته دفاعا عن فقراء مصر الذين تعرضوا لازمات طاحنة وتاقوا شوقا للخلاص .

زكي مراد نبتا طبيعيا لجزء عزيز من ارض مصر ، النوبة ، وهي تلك الارض التي افرزت طوال التاريخ المصري منذ ايام الفراعنة حتى الان . القوة الحقيقية من الرجال الذين وقع على كاهلهم مهمة طرد الدخلاء الغزاة الذين طرقوا ابواب مصر ، الشمالية الشرقية ، وشكل النوبيين شريحة لا باس بها من شرائح الحركة الوطنية المصرية التحررية في التاريخ

الحديث والمعاصر .

ومن المعروف تاريخيا ان السياسة الزراعية للاحتلال البريطاني في مصر قد حولت الارض الى مزرعة للقطن وخدمت طبقة محددة من كبار الملاك واصبح الجزء الاكبر من الفلاحين في انهيار مستمر خاصة في جنوب الوادي وما بعد بناء تعلية خزان اسوان ، فقد ترك غالبية اهل النوبة الارض ليعملوا نظير اجر في مجتمع المدينة لكن الظروف التي تعرضوا لها حالت دون تحولهم الى عمال دائميين واصبحوا سلعة تباع وتشترى وعنصرا اساسيا من عناصر الاستغلال وكان من السهل استبدال عمال آخرين بهم .

وعملية استبدال العمال الذين استنفذت قواهم في سوق العمل بعمال غير مؤهلين بالدرجة ، ظهرت في الاربعينيات خاصة في مصانع السكر بالحوامديةوانتشار ظاهرة البطالة وارتفاع اسعار وانخفاض الاجور ملحوظة ويعبر الكاتب الساخر فتحي الرملي صاحب " آراء مضطهدة " عن ذلك بقوله ان متوسط اجر العامل في شركة السكر في عام ١٩٤٤ ثمانية قروش وان الشركة كانت تعطي لبعض عمالها اجورهم من زعازيع القصب !!

ومنذ الثلاثينيات اصبحت مشكلة بلاد النوبة مشكلة قومية ، ومحاولة اغتيال رئيس الوزراء صدقي باشا من قبل احد النوبيين علامة بارزة على الطريق في عام ١٩٣٣ فقد النوبيون ١٥٧٧٠ فدانا كانت ملكا للاهالي ١٦٠٠٠ فدان من اطيان الحكومة كان الاهالي ينتفعون بها و ١١٩٨١٠٠٠ نخلة ملكهم ، ٢٦٦١٤ سكنا ٢٧٥ ١٨٨ شجرة فاكهة وفقدوا وطنا ممتد من الشمال مسافة ٣٥٠ كيلومتر سكنه ٢٠ ألف نسمة ، عوضتهم حكومة صدقي بمليون جنيه ليحصل كل نوبي على ٨ جنيها تعيش عليها مدى العمر . ولقد ظلت مشكلة التعويضات مسألة ملحة لبلاد النوبة ومثلا صارخا على بيروقراطية النظام ، فلجان التعويض تأخرت سنين وسنين في صرف مافقده الاهالي وتذكر جريدة " صوت النوبة " في ابريل ١٩٤٩ ان لجانا متعددة من مصلحة المساحة تقوم بصرف التعويضات الخاصة بتلف الزراعة لسنة ١٩٤٦ وقد قدرت هذه التعويضات بمبلغ ٩٠٠٠٠ر٩٠ جنيه وضعت تحت تصرف هذه اللجان لتصرف منها على جميع البلاد .

والكاتب الراحل محمد خليل قاسم كتب في الاربعينيات وخاصة في مجلة ام درمان مقالات متعددة حول مسألة تعويضات النوبيين " ام درمان فبراير ١٩٤٦ " وبعد ذلك تعرض في روايته الشمندورة في السبعينيات لطبيعة هذه التناقضات الطبقية داخل النوبة وموقف السلطة من الاهالي وخاصة من ناحية مشكلة التعليم فالحكومة تعمل على اغلاق المدرسة في قرية نوبية متذرعة بمختلف الحجج ومنها قلة عدد التلاميذ ٠

( انها تقول : النوبيون لا يريدون ان يتعلموا ولا شك بان ناس من أن الباشوات يقولون في قرارة انفسهم : واذا تعلم النوبيون اين نجد طباخين وسفرجية وخدما يخضعون لنا ؟ وصاح المحامي ووابوار : ضبوط لقد صرح احد النواب بقوله ومن الذي يعمل في بيوتنا اذا ما تعلم هؤلاء ؟ يحسن أن نفتح لهم مدرسة للطباخين ) ٠

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية فتكت بعوضة الجامبيا الناقلة للملاريا شعب مصر الفقير في الصعيد وفي بلاد النوبة واوجبت حالة الحرب نقصا في المواد الاولية والمهمات وتعذر الحصول بتاتا على بعضها وانتقل الوباء الى المديريات الجنوبية من النوبة وتفشى في مديرية اسوان وقنا وبلغ عدد من اصيبوا به ٢٤٩,٧٩٩ مات منهم ١٢٠٤١٦ أي بنسبة ٨ ٪ من المصابين وارتفعت نسبة الوفيات نظرا لسوء الحالة الغذائية للسكان ومن مراجع التقرير التي اعدته وزارة الصحة عن الجامبيا ( لسنة ١٩٤٢ – ١٩٤٥ ) يرى الاضرار الجسيمة التي حلت بالنوبيين ليس فقط في وفاة الالاف منهم بل في نفق المواشي بسبب الطاعون والملاحظ ان مسألة التعويضات لاهالي النوبة برزت بصفة خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فقد ضحى باطيانهم حتى تروى اراضي كبار الملاك من مياه خزان اسوان واصدرت حكومة النقراشي قرارا بصرف تعويضات على اساس خاطئ هو اساس عام ١٩٣٣ حينما كانت ديكتاتورية اسماعيل صدقي جاثمة على الصدور ، في الاربعينات ضعفت القدرة الشرائية للجنيه المصري الى ما دون الخمس وامتلاءت خزائن الدولة بالضرائب وازاء ذلك وقف اهالي توماس وعافية وعنيبة وابريم النوبية ازاء لجان صرف التعويضات التي ارسلتها الحكومة موقف المعارضة والمقاطعة واجتمعوا في جمعياتهم الخيرية وكونوا وفدا منهم يطوف على الجهات الرسمية لتقديم الشكاوى والاحتجاجات

الصارخة .

في ذلك الوقت كان الطالب الحقوقي زكي مراد ولم يتجاوز العشرين من عمره قد ادرك بوعيه طبيعة القضية وحدد موقفه من السلطة ، موقف الصراع الظاهر بعد ان ادرك العلاقة بين البطون الخاويه الجائعة وجيوب باشوات الارض المنتفخة ، بين عرق شعبه المتصبب على الارض وبين موائد القمار ومن هنا جسد بفكره وموقفه رفضه للحلول التى تقدمها السلطات الحكومية وفرضها على النوبيين ورفضه لأداة القهر الطبقى على غالبية الاهالى وفى الوقت الذى كانت السلطات تلجأ الى رجال الوعظ والارشاد عندما اشتد الوباء فى مصر العليا وعندما كان الموتى يحملون على الدواب كانهم اكوام تراب ولم تستطع نصائح علماء الدين ان توقف من سير المرض شيئا لان المرضى كانوا احوج الى المال والعون والغذاء والكساء والدواء من حاجاتهم الى الخطب والنصائح . كان زكي مراد يتحرك بنشاط وسط النوبيين يحاول تنظيمهم من اجل التصدى والضغط على النظام حتى يستجيب لمطالبهم واخذ يكتب العرائض والشكاوى للمسئولين ويلتقى بالنوبيين ويكتب الى المجلات والجرائد عن حالاتهم الاجتماعية .

شكل النوبيين شريحة لا بأس بها من الحركة المصرية للتحرر الوطنى ( حستو ) والتى اطلق عليها فيما بعد الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ( حدتو ) وهؤلاء استحوذوا على مجلة ام درمان التى اشرف عليها مجموعة من الاعضاء السودانيين داخل حستو فى اوائل عام ١٩٤٦ ومنذ ان صدر العدد الاول من ام درمان فى مارس ١٩٤٥ كانت توزع حوالى ٣٠٠٠ نسخة لكنها منذ اول يناير ١٩٤٦ بدأت توزع حوالى ٨٠٠٠ نسخة الى ان صادرتها حكومة صدقى فى يوليو ١٩٤٦ ، اما لماذا صودرت مع غيرها من الجرائد والمجلات الوطنية والتقدمية آنذاك؟ فالسبب يعود الى انها اصبحت مجلة الكفاح المشترك غايتها التحرر وسيلتها الكفاح المشترك ضد العدو المشترك ، اصر افرادها على الدعوة الى منح كل شعب فى مصر والسودان وحق تقرير مصيره بعد تحرره ، لقد اعلنت جماعة ام درمان فى اول فبراير ١٩٤٦ على صفحات المجلة ( نحن جماعة فنية ولكن بوطنيتها وايمانها ، نحارب

الاستعمار حربا لاهوادة فيها ولانداري في الحق بل نقولها كلمة الحق صريحة . نحن ندعو للتكتل اولا لمواجهة عدونا الاكبر "الاستعمار" نحن نكره الحرب لانها دمار ولكننا نحبها ضد الظلم والظالمين . نحن نعلم ان نضالنا سيكون مرا ولكننا نعلم أنه الطريق الوحيد لاسعاد شعبنا . نحن اقوياء يزيدنا قوة نضال الاحرار معنا في كل بقاع الدنيا هؤلاء نحن . فهل اعجبك اسلوبنا في الكفاح ؟) .

قبل ذلك بشهر فقط وبالتحديد في العدد الثامن عشر اول يناير ١٩٤٦ صدرت مجلة ام درمان وعلى الغلاف مقطوعة من قصيدة اصرار للطالب الحقوقي كمال عبد الحليم :

اخي ما السجن !! هل في السجن تعذيب وحرمان
وهل يجدي مع الاحرار قضبان وسجان
سوانا يرهب القضبان وتثنيه جدران
اذا كنا شرارات فنحن الهول بركان

في هذا العدد قدمت المجلة اعتذارها للقراء بعد ان اعلنت أن شباب الجامعة المصرية الحر هو الذي حرر هذا العدد واعتذرت في نفس الوقت الى القراء الكرام الذين تعودوا ان يقرأوا على صفحاتها اخبار السودان ومعالجة مشاكله . وهكذا امتلأت المجلة بمقالات عن : المدينة الجامعية . الكفاح المشترك . مصر للمصريين . الحركة الوطنية في السودان . دور الطلبة في الحركة الوطنية . مشكلة الجنوب . الاحزاب في مصر .

كان من بين هؤلاء الشبان الاحرار . الطالب الحقوقي زكي مراد الذي خط بقلمه مقال عن ( الحياة الاجتماعية عند النوبيين ) لقد كتب بالحرف الواحد :

" الفقر . الجهل . المرض . ثالوث ينخر كالسوس في المجتمع النوبي . وبهذا الثالوث يتأثر النوبيون . فالفقر كان يؤثر فيهم لانهم كانوا قوما زراعيين الى يوم قريب تقوم تجارتهم الضئيلة على التبادل . اذ كان التجار يدينون الشعب لقاء تسديدهم لهذا الدين في موسم الحصاد حصاد القمح وجني ثمار النخيل . وحتى هذه الحياة الاقتصادية الضئيلة المتبدية في كثرة هذه النخيل كان لها اثر واضح في حياة

النوبيين الاجتماعية اذ ان النوبى حينما يتزوج كان اهله وخيلانه يهدون اليه ليلة العرس عشرين نخلة لانها كانت اعز ما يملكون . واذا نظرنا الى التجارة وجدناها قائمة على تبادل السلع بين النوبيين فالتجارة لم تكن تروج الا فى موسم حصاد الزراع وحصاد ثمار النخيل وحتى النزاع الذى كان ينشب بين قبيلتين لم يكن سينشب الا ان هذا قد قذف نخله هذا بطوبه فاتلف ثمارها ولكن هذا النزاع لم يكن لتتسع حلقاته حتى تصل الى صامع البوليس بل كان النوبيون يشكلون من بين انفسهم مجلس صلح . فلم يكن البوليس المصرى من فائدة عملية بين النوبيين اذ ان من مقومات نظام البوليس امتلاك بعض الناس لكل المال وافتقار الشعب كله الى هذا المال حينئذاك يكون لقيام البوليس ضرور ليحمى اصحاب الاموال من جموع الشعب الكافر ولكن النوبيين عامة كانوا فقراء ليس بينهم من يحسد اخاه على ما يملك لان . فوارق الملكية كانت بسيطة مما كان لا يستدعى اللجوء الى البوليس .

المجتمع النوبى كان مجتمعا عبوديا اقطاعيا الى عهد قريب بمعنى انه كان زراعيا وكانت الاقطاعية تتجلى لا فى هيئة امراء . بل فى امتلاك قبيله كبرى لاغلبية اراضى القرية موزعة على افراد هذه القبيلة وافتقار القبائل الاخرى لهذه الاراضى .

لقد تهدم الكيان الاقتصادى للنوبيين بعد بناء خزان اسوان وتعليته الاولى اذا ابتلعت مياه الخزان اراضيهم وارتحل النوبيون الى القاهرة والمدن المصرية الكبرى واندفعوا يكونون جمعيات خيرية لشعورهم بانهم مشردون ولاحقتهم الازمات الفردية ..

كان من آثار ذلك نشوء المقاهى بكثرة بين النوبيين فى مصر فهم قد هاجروا الى القاهرة تاركين زوجاتهم مما جعلهم يقضون اوقات فراغهم فى المقاهى حيث النميمة وانهيار الاسرة .

هذه نبذة عن تعاسة النوبيين ولن تتغير الا بكفاح مع لشعوب وادى النيل ضد الاستعمار والاستغلال " .

لم يقف زكى مراد عند حدود الكتابة فى المجلات والجرائد بل شارك فى تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وخرج فى مظاهرات فبراير ١٩٤٦ . يهتف مع بقية الطلاب:

| | |
|---|---|
| يحيا الطلبة مع العمال | اللى عيونهم مش حتنام |
| احنا خلاص فتحنا عينينا | وعرفناكم ناس خاينين |
| الف عهود ووعود ولكن | قاعدين برضه ومحتلين |
| تبقى بلادنا بلاد زراعية | ولا نحكمش على محصولها |
| ولا نعرفشى نجيب جلابيه | ولا نتهنى بلقمة ناكلها |
| ازهر جامعة شدم حيلكم | والعمال رخرين وياكم |

بعد ذلك شارك فى عقد كثير من المؤتمرات والندوات داخل الجامعة فى اواخر الاربعينيات واوائل الخمسينيات وخاصة فى يناير ١٩٥١ ، وخرج مع المسيرات الطلابية العمالية التى اعلنت " لا مفاوضة ولا معاهدة ـ الكفاح سلاح الشعب ـ نريد قطع المفاوضات ـ اين الجلاء ياصلاح الجلاء أو الفناء " . والتقت هذه المظاهرات امام وزارة الخارجية وهى تهتف بسقوط امريكا وانجلترا وكان هناك ايضا المؤتمر الوطنى الكبير الذى اشترك فيه عديد من الاساتذة والشباب والكتاب الاحرار والذى عقد بكلية الحقوق فى ابريل ١٩٥١ وقد ذكرت جريدة الجمهور المصرى ، ١٩ أبريل ١٩٥١ صورة لهذا المؤتمر وعندما نهض المؤرخ الدكتور محمد صبرى السربونى وقال : " رايى ان الثورة التى ندعو اليها يجب ان يكون سلاحنا فيها هو العلم ، رد عليه زكى مراد على دعوته التى اسماها الثورة العلمية الهادئة وصاح :

" كيف تكون الثورة فى النفوس ولا تكون لها انعكاسات خارجية ؟ اننى لا افهم ان يهاجمنى العدو بالدبابات والقنابل فاقابله بالعلم والمقاومة السلبية انما الكفاح الصحيح هو ان نواجه الدبابة بدبابة والقنبلة باخرى .

وتمخض هذا اللقاء عن اعلان الميثاق الوطنى الذى رفض اى معاهدة تحالف مع الاستعمار الانجلو ـ امريكى ودعا الى قطع المفاوضات فورا ونصرة قضية السلام والغاء البوليس السياسى والاحكام الصادرة فى القضايا السياسية وحق تكوين الجمعيات والهيئات والاحزاب والغاء جميع التشريعات الاستثنائية التى تحد من الحريات العامة .

الكلمة داخل الجامعة كمدفع فى صدر المحتل والمشاركة فى اعمال

جماعة انصار السلام والكتابة فى المجلات والجرائد التقدمية والتى ابرزها الملايين وحمل السلاح مع الفدائيين فى معارك القناة عام ١٩٥١ كانت ابرز هموم زكى مراد الوطنيـة .

وهكذا اصبح الخطر الحقيقى على المستعمر واعوانه فى مصر يأتى من قيادات العمال والطلبة وبدون هذه القيادات التى تعبر عن القاعدة ماكان بمستطاع الحركة الوطنية التحررية ان تحرز نجاحاتها فيما بعد كان الطلاب والعمال من سكان المدن الفقراء ومتوسطى الحال هم القوة المحركة الجماهيرية للثورة الوطنية التحررية التى كانت تقلق المستعمر باستمرار وتقوم بالاضرابات والمظاهرات فى الشوارع وتتعرض لاطلاق الرصاص وتعاود من جديد العمل وتسجن وتشرد وتجوع وتعود صامدة ، كان زكى مراد احد هؤلاء _ القيادات منذ اربعينيات هذا القرن والذى وجد متنفساله بصفة خاصة فى الحركة الطلابية والتى كان لها صداها بين جميع طبقات الشعب .

كانت ظاهرة ( الافندى ) الممثل البارز النشط فى الحياة السياسية المصرية منذ العشرينيات حتى مطلع الخمسينيات ظاهرة ملحوظة ، واصبح هذا الافندى يعبع كل نظام لا ديموقراطى واصبحت دعوة الافندية خاصة الحقوقيين ، اى الذين ينتسبون الى كلية الحقوق ، للحريةوالديمقراطية والتشهير بالحكم المطلق ومضمونه الطبقى مهمة من مهام حركتهم العامة وهمومهم اليوميـة .

كان زكى مراد ابرز وانشط هؤلاء الحقوقيين دفاعا عن وطن يباع ابنائه فى سوق النخاسة ، ويشترى ترابه المقدس من قبل التتر الجدد من المستغلين والمستعمرين بابخس الاسعار ، ظل الامل والتفاؤل وتجاوز الواقع السئ الى واقع ايجابى اعز مايملك حتى آخر يوم فى حياتـه ..



# الحياة .. الثورة
## زكي مراد

من أقاصي الصعيد .. من النوبة .. من قرية ابريم جاء .
ولد سنة ١٩٢٧ .
مارس الحياة الثورة منذ كان شابا .
تبلورت الحياة الثورة سنة ١٩٤٦ حيث كان من أبرز قادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة شارك في صياغة برنامجها وانتخب عضوا بها ، وقاد النضال الذي انتهى بمصادمات فبراير ١٩٤٦ . مذبحة كوبري عباس حيث توج العالم يوم ٢١ فبراير يوما عالميا للطلبة وهو أيضا يوما للحياة الثورة ، لزكي مراد .

ساهم في تكوين « رابطة الطلبة المصريين » والتي شاركت في تأسيس أول اتحاد للطلبة وهو اتحاد الطلاب العالمي .

اعتقلته السلطات عام ١٩٤٦ اعتقالا سياسيا .

شارك في تأسيس القسم النوبي السوداني في الحركة المصرية للتحرر الوطني (حم) بعد خروجه من المعتقل شارك في تحرير مجلة الملايين والكاتب والجماهير والضمير وغيرها .. وفي كل كتاباته الفكر التقدمي بمعناه الشامل .
واعتقلته السلطات سنة ١٩٥٣ وحكم عليه بثمان سنوات اشغال شاقة في قضية "الجبهة" والمشاركة في تنظيم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني - حدتو" .

استمرت سنوات اعتقاله احدى عشر سنة متصلة .. التهمة واحدة هي دفاعه عن حقوق العمال والفلاحين ، لكنها أسوار تنحني على مر سنين عمره في رحلة الحياة الثورة ..

[illegible] رغم الشعر .. لكن هموم النضال لم تترك له أن يعطي كل ما عنده .
ترجم وألف كتب الكثير وترجم الكثير "قضايا مصرية" "بالاشتراك مع آخرين" ، ١٧ نوفمبر ثورة الشعب السوداني "بالاشتراك مع آخرين" ، فلسطين - الامبريالية والثورة ، رسالة من الحزب الشيوعي الأمريكي الى الحزب الشيوعي الصيني" .
استمرت رحلة الحياة الثورة وسجن في سنوات ٧٥ ، ٧٧ ، ١٩٧٩ .
وبعد ٣ شهر زيارة لسجن مصر توفي بعدها بشهرين في آخر ديسمبر ١٩٧٩ .
لم تمنعه هموم نضاله الكثيرة أن يمارس دوره كمحام ليس فقط في قضايا العمال والفلاحين ومن المتقاعدين الذين الى كلمته . بل أيضا في قضايا الذين حتى لمن يخالفه في رأيه ..
وهكذا مارس أيضا الحياة الثورة كمحام .
كفلاح من قرية المنادرة يريد أن تضع البذرة في جميع الحياة الثورة رغم أن النواة وإن كانت صغيرة وضعيفة ، فإن حتما ستقوى وتتدعم وتأتي يوما لتعلو وتشمخ رمز الشمس في رحلة الحياة الثورة ..
زكي مراد ..